

الفصل الثاني

دور الرياض السياسي

أولاً : الوضع السياسي في شبه الجزيرة قبل دخول عبد العزيز الرياض ١٩٠٢/١٣٢٠هـ.

ثانياً : حالة اللامركزية السياسية والقوى المحلية والخارجية التي صنعت هذه الحالة في شبه الجزيرة .

ثالثاً : دور الرياض الوحيدي ١٩٠٢ - ١٩٣٢م / ١٣٢٠ - ١٣٥١هـ .

رابعاً : الرياض قاعدة للمملكة .

obeikandi.com

أولاً: الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية قبل دخول عبد العزيز الرياض
١٩٠٢م / ١٣٢٠هـ.

عند دخول عبد العزيز الرياض لم تكن تجمع شبه الجزيرة العربية حكومة
إقليمية مركزية موحدة كما لم تكن كلها تحت حكم دولة واحدة، بل تنازعت
مناطقها أنظمة سياسية متعددة فمنها ما كان تحت حكم أمراء محليين إما
مستقلين أو تحت حماية بريطانيا، ومنها ما كان تحت حكم الأتراك العثمانيين،
ولذلك اتسم الوضع السياسي في شبه الجزيرة بصراعات مستمرة ما بين القوى
الداخلية والخارجية وبين القوى الداخلية فيما بينها.

وسنحاول فيما يلي التعرف لهذه الصراعات مع التركيز على المناطق التي كان
لها صلة مباشرة بالرياض عندما دخلها عبد العزيز وعندما خرج منها بجنود،
بهدف جعلها نواة لدولة ضم فيها معظم أراضي هذه الجزيرة.

١ - الحجاز: نبدأ التاريخ بعام ١٥١٧م / ٩٢٣هـ عندما دانت المنطقة لنفوذ
العثمانيين في عهد الشريف الحسن بن عجلان الذي استطاع أن يمد نفوذه من
ينبع شمالاً إلى جيزان جنوباً، وعندما استولى السلطان سليم العثماني على مصر
كان أمير مكة الشريف بركات الثاني الذي أوفد ابنه أبا نمي إلى السلطان معلناً
ولاءه له، وبذلك أصبحت الحجاز تحت سيادة العثمانيين^(١).

ولقد كان الصراع الأسري بين أشرف الحجاز على الحكم دمويًا ارتكبت
خلاله أنواع من القسوة والعنف ولم يخل تاريخهم الطويل من ذلك الصراع إلا
في فترات قليلة جدًا. حتى أن أمراء الحج العثمانيين كانوا يتدخلون بقواتهم

(١) أحمد السباعي، تاريخ مكة، دار قريش للطباعة، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ، ص ٧.

عبد الله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، المرجع السابق، ص ٢١.
عبد العزيز نوار، دراسة في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، جامعة بيروت العربية، مطابع كريدية
إخوان، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٢.
وحسين بن محمد نصيف، ماضي الحجاز وحاضره، الحسين - علي، الجزء الأول، الطبعة الأولى،
جدة، ١٣٤٩هـ، ص ص ١٠ - ١٢.

الخاصة لمصلحة هذا الشريف أو ذاك، ونتيجة لذلك عانا الأبرياء من السكان والحجاج كثيرا من المصائب والمحن .

ونصل إلى حقيقة هامة وهي : أن أهم اختصاصات شريف مكة كانت تأمين قوافل الحج، ولذلك صار للأشراف مركز ممتاز باعتبارهم سدنة الأماكن المقدسة .

ولما كانت الدولة العثمانية ترسل من مصر إلى الحجاز مبلغا محددًا من المال سنويا وبانتظام إلى جانب ريع الأوقاف على الحرمين لذا استمر أهل مكة والمدينة في ظل الأشراف على ولائهم للدولة العثمانية .

وقبل قيام الدولة السعودية لأولى كان لأشراف مكة نفوذ على بعض الأقاليم النجدية . لكنه كان يضعف تدريجيا لتلاشي قوة الدولة العثمانية التي كانوا تابعين لها من الناحية الرسمية في جزيرة العرب ومنافسة النفوذ الخالدي له، وكان من الطبيعي أن يهتم أولئك الأشراف بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ثم بقيام الدولة السعودية الأولى .

وتتفق المصادر على أن عددا كبيرا من الأشراف دخلوا في عداء مع أنصار الدعوة السلفية، وإن كان هذا لم يمنع من تحسن العلاقات بينهما في بعض الأحيان .

ولكن النتيجة هي أن فترة العلاقات الحسنة بين الدرعية ومكة كانت قصيرة جدا ومع ذلك نجد أن أشراف الحجاز لم يقدموا على التدخل العسكري ضد الدولة السعودية حتى عام ١٧٩٠م / ١٢٠٥هـ، منذ هذا التاريخ وحتى ١٨٠٣م / ١٢١٨هـ وهو العام الذي دخلت مكة المكرمة تحت حكم الدولة السعودية الأولى، كانت الحوادث تسير لصالح قادة الدرعية في نزاعهم مع الأشراف^(١). وفي عام ١٨٠٥م / ١٢٢٠هـ أصبحت الحجاز كلها جزءا من الدولة السعودية الأولى .

(١) عثمان بن بشر، المصدر السابق، ج١، ص ص ١٦٢ - ١٦٤ . وأحمد بن دحلان، المصدر السابق، ص ص ٤٧٤ - ٢٧٦ .

ولكن بعد انتصار محمد علي على آل سعود واستخلاص الحجاز من أيديهم عام ١٨١٩م / ١٢٣٥هـ، أصبح منصب شريف مكة تحت سيطرة محمد علي الذي يتدخل في اختيار الشريف وفق رغبته، حتى عام ١٨٤٠م / ١٢٥٦هـ. وبذا يمكننا القول أن الأشراف فقدوا نفوذهم السابق وخسر الحجاز الاستقلال الذاتي الذي كان يتمتع به من قبل، وأصبح زمام الأمور في الحجاز يجري وفق إرادة الوالي التركي^(١).

إلى أن صدر فرمان السلطان من السلطان عبد الحميد بتولية الشريف الحسين بن علي إمارة مكة في شوال ١٩٠٨م / ١٣٢٦هـ وكان السلطان عبد الحميد كان يتوقع من خلال سيرة الحسين ومساعيه بأنه سينجح في إخراج الحجاز من طاعة الدولة العثمانية وانضمامها إلى صفوف أعدائها، فقد قال السلطان عقب تولية الحسين للإمارة، «لقد خرجت الحجاز من يدنا واستقل العرب وتشتت ملك آل عثمان بتعيين هذا الرجل لإمارة مكة، ويا ليتة يكتفي بإمارة مكة واستقلال العرب فقط، ولكنه سوف يعمل بدهائه لأن ينال مقام الخلافة العظمى لنفسه»^(٢).

٢ - عسير: تطلق على المنطقة التي تقع بين اليمن جنوبا والحجاز شمالا وتمتد من البحر الأحمر غربا إلى مقاطعة نجد شرقا، وتبلغ مساحتها حوالي ٧٠,٠٠٠ كم^٢، وقد سميت بهذا الاسم لصعوبة مسالكها وكثرة تعاريجها أو كما يقول البعض إنها نسبة لأحد ساكنيها الأقدمين واسمه عسير من العدنانيين^(٣).

(١) عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص ٢.

(٢) حسين بن نصيف، المرجع السابق، ص ٣ - ٦.

SALAH MUHAMMAD AL AMR, THE HIJAZ UNDER OTTOMAN RULE 1869-1914 OTTOMAN VOL. I, THE SHARIF OF MECCA, AND THE GROWTH OF BRITISH INFLUANCE. P H.D. THESIS, UNIVERSITY OF LEEDS, RIYADH UNIVERSITY PUBLICATIONS 1978, PP. 143-136.

(٣) هاشم بن سعيد النعمي (قاضي رجال ألمع) تاريخ عسير في الماضي والحاضر، الجزء الأول، ص ٤ - ٥.

كان نفوذ أشرف الحجاز قد امتد إلى القنفذة جنوباً أي أن منطقة عسير قد دخلت تحت نفوذ هؤلاء الأشراف، وإذا كان هذا واضحاً في تهامة لسهولة التحرك في الجهات الساحلية فإنه من المحتمل أن ذلك النفوذ في الجهات الجبلية لم يكن أكثر من تحالف بعض القبائل مع الأشراف أما الولاء الحقيقي فكان للزعماء المحليين^(١).

وفي عام ١٥٣٨ - ١٦٣٥ م / ٩٤٥ - ١٠٤٥ هـ كانت عسير تحت حكم الأمراء المحليين في ظل السيادة العثمانية وكان الولاة العثمانيين يرسلون حكاماً يساعدون الأمراء المحليين في شئون الحكم وكثيراً ما كانت تقوم الحروب بين الطرفين وذلك لاستئثار الأتراك بالإدارة. ولكن في عام ١٦٣٥ م / ١٠٤٥ هـ تمتعت عسير بفترة من الاستقلال تحت حكم الأمراء المحليين^(٢). ولكنها دخلت في صراع مع الأئمة الزيديين الذين كانوا يحاولون فرض سيطرتهم عليها. ثم عاد المدّ العثماني من جديد في عسير فيما بين عامي ١٨١٤ - ١٨٤٠ م / ١٢٣٠ - ١٢٥٦ هـ أثناء فترة حكم محمد علي الذي أرسل قواته إلى الجزيرة العربية لمحاربة آل سعود وكان طبيعياً أن تصل هذه القوات إلى عسير لمحاربة أنصار الدولة السعودية الأولى في هذه المنطقة^(٣)، غير أن القوات المصرية هزمت أمام قوات بن شعيب وتم جلاؤها عن المنطقة فعادت إلى جدة^(٤).

مما تقدم يتضح أن الوجود العثماني في عسير كان بين المدّ والجزر، يقوى تارة ويضعف أخرى، غير أن السمة البارزة فيه أنهم لم يحاولوا إخضاع المنطقة خضوعاً كاملاً، والسبب أن الأمراء المحليين كانوا دائمي الثورة، لذا حاول العثمانيين الإبقاء عليهم كحكام للمنطقة نيابة عنهم.

(١) العثيمين، المرجع السابق، ص ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٢) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ الخلافة السليمانية، ج ١، الطبعة الثانية، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٨٢ م / ١٤٠٢ هـ، ص ص ٧١ - ٨٣.

(٣) عبد الله بن علي مسفر، أخبار عسير، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، دمشق بيروت ١٩٧٨ م / ١٣٩٨ هـ، ص ص ٣١ - ٣٥.

(٤) ابن بشر، ج ١، المصدر السابق، ص ٢٤٨.

ولكن في عام ١٨٧٢م نجحوا في ضم عسير وجعلها متصرفية تابعة لولاية اليمن^(١) وبقيت على هذا الوضع حتى عام ١٩٠٧م / ١٣٢٤هـ عندما ظهر في عسير محمد بن علي الإدريسي ليؤسس حكومة الأدارسة التي تحملت عبء الكفاح ضد الوجود العثماني في هذه المنطقة حتى تخلصت منه في نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م / ١٣٣٧هـ^(٢).

٣ - اليمن :

نظرا لأهمية اليمن من الناحية العسكرية وحساسية موقعها الاستراتيجي المهيمن على شواطئ البحرين العربي والأحمر، فقد كانت محط أنظار الدولة العثمانية التي دخلتها قواتها عام ١٥٣٨م / ٩٤٥هـ بقيادة سليمان باشا الأرناؤطي بناء على تعليمات من السلطان سليمان القانوني، إلا أن الوجود العثماني في اليمن تعرض لمقاومة ضارية من قبل الأهالي كان من نتائجها خروج الأتراك بعد هزيمتهم في معركة (الصافية) ١٦٣٦م / ١٠٤٦هـ وبعدها بقي اليمن قرابة مائتين وعشرين عاما محتفظا بسيادته الإقليمية حتى كانت سنة ١٨٤٨م / ١٢٦٥هـ حين أعاد الأتراك الكرة إلا أن قواتهم منيت بالهزيمة وأرغمت على العودة.

بعد هذه الحادثة أمضى اليمن ربع قرن في خلافات داخلية، كان أشدها الصراع الذي قام بين الامام ابن المهدي بصنعاء وبين المنصور أحمد بن هاشم بصعدة، وكان الباشا أحمد مختار قائد القوات التركية المرابط بعسير يراقب هذه الخلافات عن كثب، وعندما حسان الوقت دخل صنعاء سنة ١٨٧٢م / ١٢٨٩هـ.

(١) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠م، ص ٢٤١.

(٢) SIR RINAHAN, CORNWALLS. ASIR BEFORE WORLD WAR I, ORLEANDER PRESS, CAMBRIDGE, PP. 25-28.

وفي عام ١٨٧٣م / ١٢٩٠هـ عينت الحكومة التركية مصطفى عاصم خلفاً لأحمد المختار الذي لجأ إلى سياسة العنف والقسوة في المنطقة .

وفي عام ١٩٠٤م / ١٣٢٢هـ توفي الإمام المنصور وباع الأهالي ابنه يحيى بالإمامة فأخذ على عاتقه التصدي للوجود العثماني فاضطرت حكومة الاتحاديين التي أيقنت أنه لا قدرة لقواتها على السيطرة وإخضاع أهل اليمن ، لا سيما بعد أن أصبح في أيديهم السلاح الحديث والمعدات التي غنموها من حروبهم معه ، كما أيقنت أن بقاء قواتها يشكل خطراً عليهم ، لذا دخلت في اتفاقية مع الإمام يحيى تتضمن قيام الإمام بالاشراف على شئون القضاء والأوقاف وتعيين الحكام والمرشدين وتشكيل هيئة شرعية في البلاد وأن تكون جباية الأموال على الطريقة الشرعية^(١) .

هذا ولم تمض ثلاث سنوات على هذا الاتفاق حتى قامت الحرب العالمية الأولى وبعدها غادرت القوات التركية اليمن وبخروجها دخل اليمن في مرحلة سياسية جديدة هي مرحلة العزلة التي فرضها الإمام يحيى عليها^(٢) .

٤ - الأحساء «شرفي شبه الجزيرة» :

قبل أن تفكر الدولة العثمانية في ضم الأجزاء الشرقية من الجزيرة لدولتها كانت هذه المنطقة تحكمها الأسرة الجبرية (آل جبر) ، ونتيجة للصراع الداخلي والغزو الخارجي بدأت هذه الأسرة في الزوال بعد أن استولى على مقاليد الأمور راشد بن مغامس عام ١٥٢٤م / ٩٣١هـ .

وبعد هذا التاريخ بدأت الدولة العثمانية تفكر جادة في ضم كل من الأحساء والقطيف إلى ممتلكاتها خاصة بعد أن أصبحت الحجارة تابعة لها .

ولقد نجح العثمانيون في الاستيلاء على الأحساء عام ١٥٥٢م / ٩٦٠هـ ، وظلت الأطراف الشرقية لشبه الجزيرة العربية خاضعة للعثمانيين حوالي ١٢٠

(١) أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين ، الطبعة الرابعة ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ١٩٨٦م ، ص ص ٢٥٦ - ٢٦٤ .

(٢) صلاح العقاد ، المشرق العربي المعاصر ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٥١٩ .

سنة . إلا أن قوة زعماء بن خالد التي أخذت تزداد وتتوطد في شرق الجزيرة العربية حتى لقد أثاروا الكثير من المشكلات للحكام العثمانيين الذين لم يجدوا بدا من استرضائهم بالمال حيناً وبالمناصب حيناً آخر أرغمت الحامية العثمانية على الانسحاب من البلاد عام ١٦٦٩م / ١٠٨٠هـ وبذلك أصبح (آل حميد) زعماء بن خالد النفوذ، إلى أن دخلت الأطراف الشرقية تحت حكم الدولة السعودية الأولى في عام ١٧٩٣م / ١٢٠٨هـ (١).

وعقب رحيل إبراهيم باشا بقواته عن نجد، انتابتها حالة من الاضطراب والفوضى بسبب انعدام السلطة المركزية مما انعكس على الأحساء، وبقيام الدولة السعودية الثانية على يد مؤسسها تركي بن عبد الله ثم ابنه فيصل بن تركي امتدت حدود هذه الدولة خارج نجد فشملت الأحساء والتي عين عليها السعوديون عمر بن عفيصان أميراً عام ١٨٢٩م / ١٢٤٥هـ (٢).

وفي عام ١٨٣٦م / ١٢٥٢هـ أرسل محمد علي قوة عسكرية جديدة للمنطقة بقيادة إسماعيل أغا وخالد بن سعود عززها بقوة أخرى بقيادة خورشيد باشا وقد وصلت القوات المصرية إلى الأحساء وعين أحمد السديري أميراً عليها تبعها بعد ذلك دخول القطيف وسيهات لسيادة الحكم المصري الجديد المتمثل في حكم خالد بن سعود .

وهكذا تمكن محمد علي من تحقيق سياسته التي رسمها منذ أن عين خالد بن سعود حاكماً على نجد ليضمن بذلك ولائه له، كما ظل خورشيد يدير شؤون البلاد طوال فترة وجوده في نجد حتى اضطر إلى الرحيل عن المنطقة عائداً إلى مصر عقب تسوية عام ١٨٤٠م / ١٢٥٦هـ تاركاً خالد بن سعود يدير حكم البلاد (٣).

(١) العثميين، المرجع السابق، ص ص ٩٨ - ١٠٠ .

(٢) ابن بشر، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ٩٨ - ١٠٠ .

وعرض حكومة المملكة العربية السعودية، التحكيم لتسوية النزاع الأقليمي بين مسقط وأبو ظبي والمملكة، المجلد الثاني ١٣٧٤هـ، ص ١٦٧ .

(٣) ابن بشر، المصدر السابق ج ١، ص ١١٣ .

واستمرت الأحساء تابعة للدولة السعودية الثانية زمن عبد الله بن ثنيان الذي أعقبته فترة حكم فيصل بن تركي الثانية أي حتى عام ١٨٦٥م / ١٢٨٢هـ، دخلت بعدها المنطقة عهدا من الفتن والفوضى بين أبناء فيصل بن تركي ترتب عليه محاولة سعود بن فيصل فصل الأحساء عن ولائها لعبد الله بن فيصل، نكي تفقد الرياض جزءا حيويا ومنفذا هاما على الخليج، ومن أجل ذلك لجأ الأخير إلى طلب المساعدة من الدولة العثمانية لإعادته إلى حكم الرياض مقابل اعلان تبعيته لها والتعهد بدفع الجزية. أسرع مدحت باشا لقبول هذا العرض من أجل ضم الدولة السعودية الثانية إلى الدولة العثمانية بحجة إقرار النظام في الأقاليم البعيدة فأرسل حملة من البصرة إلى الأحساء بقيادة نافذ باشا سنة ١٨٧١م / ١٢٨٨هـ التي استطاعت الاستيلاء على كل أقاليم الأحساء ورفعت الراية العثمانية على قاعدتها في الهفوف. وزار مدحت باشا الأحساء وأعلن أنها أصبحت من ممتلكات الدولة العثمانية وعين نافذ باشا متصرفا عليها وعلى المقاطعات التابعة لها باسم متصرفية نجد.

واستمرت هذه الترتيبات التي وضعها مدحت باشا للأحساء حتى عام ١٨٧٤م / ١٢٩١هـ حين أدركت الدولة أن الإدارة العثمانية المباشرة في الأحساء ستكون باهظة النفقات فعهدت إلى متصرف البصرة وزعيم قبائل المنتفق ناصر السعودون بإدارة الأحساء بواسطة قوة من القبائل المحلية بدلا من الحاميات العثمانية^(١). وهكذا ظل إقليم الأحساء خاضعا للدولة العثمانية حتى عام ١٩١٢م / ١٣٣١هـ عندما نجح عبد العزيز في ضمه إلى الدولة السعودية الثالثة.

٥ - العراق:

من المعروف أن العراق خضع للعثمانيين منذ عهد السلطان سليم الأول سنة ١٥١٤م / ٩٢٠هـ وكان قبل ذلك خاضعا لشاه فارس (الدولة الصفوية -

(١) عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص ص ١٣ - ١٤.
وخالد بن جابر الغريب، منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ، الطبعة الثانية الدار الوطنية الجديدة، الخبر، ١٩٨٨م / ١٤٠٨هـ، ص ص ١٨٨ - ١٩٣.

إسماعيل الصفوي) غير أن حملة السلطان سليم لم تخضع العراق بأكمله . فقد خضع شماله فقط في الموصل وديار بكر وحتى هذه المناطق لم يكن الحكم العثماني مستقرا فيها كل الاستقرار، أما العراق الأوسط والجنوبي فقد ظل في يد الإيرانيين، وفي عهد السلطان مراد تمت للعثمانيين السيطرة على العراق كله وذلك سنة ١٦٣٨م / ١٠٤٨هـ.

وفي عهد التنظيمات العثمانية سنة ١٧٨٩م / ١٢٩٧هـ قسمت العراق إلى ثلاث ولايات هي : ولاية بغداد والبصرة و الموصل^(١) . وظلت هكذا حتى قيام الحرب العالمية الأولى .

٦ - إمارات الخليج :

ظهر اهتمام بريطانيا بها منذ أيام الحملة الفرنسية على مصر وازداد هذا الاهتمام في أواخر القرن التاسع عشر بسبب تزايد النفوذ الألماني في الدولة العثمانية وحصول الأولى على امتياز سكة حديد بغداد منها مما دفع الإنجليز إلى الوقوف في وجه النشاط الألماني في الخليج وذلك بالاتفاق مع حاكم الكويت مبارك الصباح وتوقيع معاهدة الحماية معه سنة ١٨٩٩م / ١٣١٧هـ^(٢) .

أما بالنسبة لقطر فقد كانت تابعة لسلطنة عمان ثم خضعت للدولة العثمانية فيما بين ١٨٧٢ - ١٩١٣م / ١٢٨٩ - ١٣٣٢هـ عقد اتفاق بين تركيا وبريطانيا تنازلت بموجبه الأولى عن حقوقها في الكويت وقطر والبحرين ومسقط وعمان وأخذت الحكومة البريطانية على عاتقها مهمة الاشراف على حكومات هذه الإمارات^(٣) .

٧ - نجد :

كانت نجد من أقل مناطق جزيرة العرب تأثرا من حيث اختلاط العناصر غير العربية بالسكان العرب المحليين لأنها بعيدة عن مواطن الامتزاج السكاني

(١) محمد عبد الرحمن برج، دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٤م، ص ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٢) المرجع نفسه، ص ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٣) عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ص ص ٣٨١ - ٣٨٣ .

المتمثلة عادة في المناطق الساحلية والأماكن المقدسة وعلى هذا الأساس فإن الغالبية العظمى من أهلها كانت تنتمي إلى قبائل عربية معروفة النسب، أما الأقلية منهم فكانت فئات متعددة بعضها على الأرجح عربي الأصل، لكن أصلها ضاع أو سلب منها لسبب من الأسباب وبعضها من أصول غير عربية أتت إلى البلاد بطرق مختلفة كالرق ومزاولة بعض المهن .

لهذا كانت زعامات البلدان النجدية تنتمي إلى قبائل عربية مختلفة على أن قبيلة تميم احتلت فيها يبدوا مكانة بارزة بين تلك الزعامات، لكثرتها العددية بين السكان ولنزعتها الاستيطانية المعهودة منذ زمن طويل من ناحية أخرى . ومن أمثلة الأمراء المتممين إليها :

أمراء العينية وأمراء ثرمدا، وبريدة وروضة السدير^(١) . على أن الأسر التي كانت تسيطر على مقاليد الأمور في البلدان النجدية وصلت إلى الإمارة بطرق مختلفة :

أن يكون جد الأسرة هو الذي أنشأ البلدة أو أحيائها بعد أن هجرها آخرون^(٢)، وأن يستولي على البلدة بالقوة ويتنزع الإمارة ممن كانوا يتولون زعامتها^(٣) . وفي كلتا الحالتين كانت الإمارة عادة وراثية في الأسرة أو تذهب إلى فرد من أفرادها باختيار منهم، والصراع حول السلطة أمر مألوف في تاريخ جميع الأسر في مختلف بلاد العالم وفي سائر الفترات التاريخية، لذا فالصراع داخل الأسرة الحاكمة في نجد لم يكن أمرا غريبا، وبالتالي كان يؤدي إلى تملك سياسي كنتيجة طبيعية لتلك الأوضاع حتى أصبحت كل بلدة مستقلة بذاتها . والعلاقة مع جاراتها غير ودية في أغلب الأحيان^(٤) .

(١) إبراهيم بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص ص ٣٥ - ٥٥، ١٠٥ .

(٢) ابن بشر، ج٢، ص ١٨٩ .

(٣) الفاخري، المصدر السابق، ص ٦٥، ٦٧ .

(٤) العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، الطبعة الثانية، دار العلوم،

١٩٨٥م/١٤٠٦هـ، ص ١٥ .

ولقد تعاقبت على الإمارات النجدية المختلفة فترات ضعف وقوة، لكن أقوى إمارة ظهرت في تلك الفترة كانت إمارة العيينة وأميرها عبد الله بن معمر، الذي قال عنه ابن بشر «لن يذكر مثله في زمانه ولا قبل زمانه في نجد في الرئاسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث»^(١).

وعند ظهور الدعوة السلفية كانت نجد تضم عدة إمارات، أهمها إمارة العيينة بزعامة آل معمر، وإمارة الدرعية بزعامة آل سعود، وإمارة الخرج بزعامة آل زامل، وإمارة الرياض بزعامة دهام بن دواس.

وبعد اتفاق الدرعية ١٧٤٥م / ١١٥٨هـ وقيام الدولة السعودية الأولى، تسنى لها القضاء على هذه الإمارات المتعددة واحتوائها تحت سيادة الدولة الجديدة. وأدى هذا التوسع إلى الصدام مع العثمانيين خاصة بعد وصولها إلى الحرمين الشريفين ومنه تطلعت إلى الشمال، فوصلت إلى حوران ووقفت على مشارف فلسطين والشام بل وهزمت قوات الدولة التي خرج بها والي الشام عبد الله العظم ١٨٠٥م / ١٢٢٠هـ للحج، وهنا لجأت الدولة العثمانية إلى واليها محمد علي الاسترداد سلطتها في شبه الجزيرة، فتوالت حملاته حتى استطاع دخول الدرعية والقضاء على الدولة السعودية ١٨١٨م / ١٢٣٤هـ. وأصبحت نجد منذ ذلك الوقت تابعة للسيادة العثمانية الاسمية أكثر من عشرين سنة وذلك في ظل الدولة السعودية الثانية، التي ترتب على قيامها ظهور أسرة جديدة في منطقة جبل شمر هي أسرة آل رشيد التي دخلت في صراع مع أسرة آل سعود، انتهى بالأخير إلى الخروج من الرياض والاستقرار بالكويت.

نخرج من هذا العرض، أن سيطرة الدولة العثمانية على المناطق التي سبق ذكرها كانت سيطرة اسمية ولكن القرن التاسع عشر شهد تغيرا في سياسة الدولة العثمانية تجاه تلك المناطق سواء كان هذا التغير تطبيقا لحركة التنظيمات التي

(١) ابن بشر، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣٦.
والعثيمين، المرجع السابق، ص ٤٥ - ٤٦.

كانت تهدف إلى تقوية قبضة الدولة على ولاياتها أو استجابة لمصالح ألمانيا التي صارت حليفة للدولة العثمانية، تلك المصالح التي تهتم بهذه المنطقة لمجاورة موقعها الجغرافي، ولذلك نجد أن الدولة العثمانية بدأت تتبع إزاء هذه المناطق سياسة تهدف إلى إثبات ملكيتها لها، وتدعيم سياسة الدولة عليها ماديا وأديبا. ولكنها في كثير من أجزاء شبه الجزيرة العربية وبخاصة في منطقة الخليج كانت الجهود العثمانية تصطدم بالسياسة البريطانية تلك السياسة التي كانت تقدر هي الأخرى أهمية هذه المنطقة باعتبارها طريقا حيويا يؤدي إلى الهند، ومن هنا وقفت بريطانيا ضد الدولة العثمانية في أية محاولة وإعلاء نفوذها في المنطقة، واستخدمت في ذلك شتى الوسائل التي تتحياها لها الظروف سواء اللجوء إلى القوة إذا استطاعت أو استغلال الخلافات المحلية بين أمراء حكام المناطق والمنازعات القبلية داخل المنطقة الواحدة.

ثانيا : حالة اللامركزية السياسية والقوى المحلية والخارجية التي صنعت هذه الحالة في شبه الجزيرة.

اتسم الوضع في شبه الجزيرة العربية بحالة من اللامركزية التي سادتها قبل دخول عبد العزيز الرياض، ولعل من دواعي التاريخ لتلك الممارسة السياسية التي اطلعت بها الرياض كعاصمة مركزية لأنحاء نجد في مرحلة مبكرة ثم كقاعدة مركزية في مرحلة لاحقة للدولة الوليدة التي توحدت بعد ما يقرب من ثلاثة عقود، نقول إن من دواعي التأريخ لتلك الأحداث أن نلقي نظرة شاملة على الأوضاع السائدة في شبه الجزيرة العربية من حيث الصراع بين الفصائل المتناحرة والمتربصة بمقاليد السيادة على قبائلها وعلى المؤثرات التي امتدت أبصارها إلى المنطقة إما لتحتويها أو لأن تجعل منها عمقا لنفوذها وتابعا لسياستها وحركتها.

وقد تبدو معالم الأوضاع السياسية بالمفهوم التقليدي بتعبير السياسة غير واضحة أو محددة في ظل فترات الصراع أو التصدي التي واكبت محاولات صمود الدولة في نجد في الفترة ما بين تدمير الدولة السعودية الأولى في الدرعية ١٨١٨م / ١٢٣٤هـ وحتى المحاولة الأولى لاسترداد الرياض ثم انجاز الاستيلاء عليها في عام ١٩٠٢م / ١٣١٩هـ، ذلك لأن مجتمع البداوة الذي كان هو الطابع المنفرد في شكل الحياة في هذه المنطقة كان واقعا يؤكد حالة اللامركزية السياسية غير واضحة المعالم أو محددة الأهداف .

كذلك فإن أثر الدعوة الدينية التي بدأها الشيخ محمد بن عبد الوهاب واحتضنها آل سعود إلى أن صارت منهاجاً إسلامياً لممارسة الحكم في البلاد قد شكلت النمط الديني والاجتماعي لسكان نجد، وظهرت مؤثراتها حينذاك بشكل إيجابي من حيث تكوين الكيان المادي السياسي الذي أمكنه الصمود أمام الطبيعة السكانية ذاتياً في حين كان تأثير القوى المحيطة بها من خارج حدودها ونخص منها الدولة العثمانية وبريطانيا قوياً، الأمر الذي عرضها للانقسامات الداخلية والصراع الأسري^(١) .

وما كان يمكن للقوى المحلية بحركاتها ونزعتها أن تصل بشبه الجزيرة إلى حالة الامركزية السياسية - قبل دخول الملك عبد العزيز إلى الرياض - لولا تدعيم القوى الدولية المحيطة بشبه الجزيرة من الخارج لتقوم بالأدوار لمصالحها القبلية والمحلية دون أن تخطط لأن تعمل هذه القوى المحلية المتصارعة دوماً على تحقيق نوع من التبعية السياسية الإرادية لتلك القوى بقدر ما تنجح هذه الخطط أو تلك ، وإن اتسمت هذه التبعية بعدم الثبات أو الاستمرارية إلا أنها قد حققت بالفعل نتائج مرحلية خدمت في كثير من الأحيان أهداف الأصابع التي تحكم حركتها من خارج نجد .

(١) خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج١، ص ١٠٣ .

فعندما امتد الصراع لأكثر من قرن توارثا بين القوى المتنافسة على السيادة في نجد كان اتجاه هذا الصراع لا يخرج إلى حد متعاضم على مناوأة آل سعود في الرياض وهو ذات الهدف الذي كان محورا لخطط القوى الخارجية وما تعده من وسائل لاحتواء هذه الأسرة أو تحجيمها إن صعب عليها حجب السيادة وشرعية الولاية عنها .

فالمناوىء التقليدي لآل سعود منذ تلك الفترة المبكرة هم آل رشيد وقد دأبت حركتهم على اتخاذ الرياض قاعدة انطلاقهم لانزاع السيادة داخل نجد وانطلاقهم لمد نفوذهم على أنحاءها وفي الأحساء والقصيم ، فإنهم بذلك يعتمدون على الدولة العثمانية في متابعة بقية عناصر آل سعود ، حتى لقد استحثوا العثمانيين لاحتلال الكويت حيث يقيم آل سعود بعد أن طردوا من الرياض وسدت الدولة العثمانية الأحساء في وجههم^(١) .

أما عن أهم القوى التي لعبت دورها في التأثير على حالة اللامركزية السياسية التي سبقت الإشارة إليها باستقطاب التيارات الداخلية الأقوى بالتغلب على العناصر المناوئة في الداخل ثم في دأبها على احتواء الأقوى أو تحجيمه في إطار عام يضم دويلات أخرى ليعطي الجميع محصلة تركز تحقيق مصالحها الإقليمية والدولية ، فقد انفردت بريطانيا وكذلك الدولة العثمانية واختراق الكيانات المتنافسة داخل نجد والرياض لتحقيق تلك الأهداف .

وترى بريطانيا وهي تسعى نحو احتواء الإمارات المتناثرة في الخليج العربي لتنفرد دون غيرها بالسيطرة على طرق مواصلاتها مع مستعمراتها في الهند وجنوب شرق آسيا . ثم لتأكيد أوضاعها الإقليمية والإستراتيجية المستقبلية بشقيها السياسي والاقتصادي فيه تتطلع إلى داخل نجد من حول الرياض فتكون حركتها في اتجاه أن لا تنفرد الدولة العثمانية بالسيطرة والسيادة على أدواتها في

(١) أبو علي ، الدولة السعودية الثانية ، المرجع السابق ، ص ص ١٨٧ - ١٨٨ ، ١٩٥ - ١٩٤ .

نجد . فعندما زاد طموح ابن رشيد وحاول ضم الكويت إلى سيادته تسانده في ذلك الدولة العثمانية ، أسرعت بريطانيا في استجابتها لحاكم الكويت لتكون بلاده محمية بريطانيا ، وبذلك تكون قد أوقفت المد العثماني وأداته ابن رشيد عند حدود الأحساء .

وفي حالة الدولة العثمانية فإن حالة اللامركزية السياسية التي أوجدتها في شبه الجزيرة العربية كانت في مجمل أهدافها أن تحكم سيطرتها وسيادتها الدينية على شبه الجزيرة العربية ، فلا يعود آل سعود مرة أخرى ولا أنصار الدعوة السلفية الذين يرون تأصيل الخلافة إلى العربية وليست إلى العثمانية ، ذلك لأن آل سعود لا يقرون مبدأ خلافة آل عثمان في حين أن نجد عندما احتضنت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد جاهرت بإمامة آل سعود ولأن ذلك في حد ذاته خروجاً عن طاعة العثمانيين في المنطقة وخطراً لا بد من العمل على احتوائه^(١) .

ولفترة استخدمت الدولة العثمانية آل رشيد الموالي لهم في سيادته على نجد كما ذكرنا في وضع سياستهم هذه موضع التنفيذ في نجد ، أما في الحجاز فقد ركنت إلى الاستفادة من طموح شريف مكة ورغبته في سيادة شبه الجزيرة العربية ليكون شوكة تحد من حركة الرياض حتى لا توفر لها الاستقرار السياسي أو الإقليمي ، وفي الشرق إحتوت الدولة العثمانية الأحساء لتأمين نفوذها في العراق ولتقوية استراتيجيتها في الخليج ، ولكي تكون عمقا استراتيجيا لسياستها في تحقيق الحد من النفوذ البريطاني في حركته لاحتواء دويلات الخليج^(٢) ، ومن ثم ساعد هذا التصرف العثماني في شبه الجزيرة العربية على تأكيد حالة اللامركزية السياسية التي نحن بصدد التأريخ لها .

ويجدر بنا الإشارة إلى بعض الحقائق الهامة التي يجب وضعها في الاعتبار عند معالجة قضايا هذا الفصل وهي :

(١) أحمد طرين ، الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر ، ص ١٨٠٠ - ١٩٥٨ ، مشق ، ١٩٧٠م ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٢) الزركلي ، المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٤٩ .

١ - أن الرياض عندما بدأت نشاطها السياسي لم تكن عاصمة لدولة مستقلة ذات حدود معلومة وسياسة مرسومة وعلاقات دولية محددة، وإنما بدأت الرياض نشاطها السياسي نواة لإمارة صغيرة وإن أصبحت فيما بعد قاعدة لبناء سلطنة ثم دولة شاسعة .

٢ - إن الرياض قادت حركة التوحيد ثم التحول والبناء من ألفها إلى يائها فمنها خرجت الجيوش لجمع شمل القبائل المتناحرة، وفيها رسمت السياسات لبناء المجتمع الداخلي المستقر على انقاض المجتمع البدوي وحددت خطوطها السياسة في علاقاتها الدولية ومواجهة المتناقضات فيها .

وكان إصرار (الأمير) عبد العزيز على دخول الرياض في ١٩٠٢م/ ١٣١٩هـ بعد محاولة أولى عام ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ لم يقدر لها النجاح، بداية على طريق استرداد ملك أسرته انطلاقاً نحو بناء دولة جديدة على أنقاض دولة متداعية، دار الصراع فيها بين عمومته إلى حد الاقتتال فيما بينهم حيث استغل ابن رشيد هذه الصراعات لاحتواء نجد مدناً وقرى .

ثالثاً : دور الرياض التوحيدي ١٩٠٢م - ١٩٣٢م/ ١٣١٩ - ١٣٥١هـ :

عندما نؤرخ للدور التوحيدي الذي قامت به الرياض ليكتمل بناء الدولة سوف يتضح لنا ما إذا كان في فكر عبد العزيز ذاك التصور الذي حقق قيام دولة بهذا القدر أو الحجم أم هي الظروف قد مهدت له وساعدته على امتلاك الفرص المواتية الواحدة تلو الأخرى التي مكنته من فرض الوحدة في نجد أساساً بدءاً من الرياض .

وإذا كان التاريخ سوف يتحدث عن الدور التوحيدي فإن ذلك معناه حركة الرياض داخل نجد وسياستها في ترتيب أوضاعها الداخلية، إلا أن ذلك لم يكن على وجه الإطلاق بمعزل عن المناوأة بل المواجهة غير المباشرة للقوى المترتبة المحيطة بحدودها، ذلك أن حركة الرياض ونشاطها كان لتصفية

العناصر التي تعتمد عليها تلك القوى لتنفيذ مخططاتها في المنطقة الأمر الذي أظهر ذلك الارتباط الوثيق بين حركة القوى المعارضة لآل سعود في الرياض ونجد وبين الدول الأجنبية ذات المصالح في المنطقة ونخص بها كما ذكرنا من قبل بريطانيا والدولة العثمانية .

والرياض في حركتها تلك اتجهت إلى ضم الأحساء وتصفية مصادر القلق في القصيم وفي الجنوب ردت مطامع اليمن في عسير ثم لم تسمح بالتجاوزات التي قام بها الاشراف في الحجاز وذلك بمنع الحجاج من رعايا الرياض وهي تحمل رسالة الدعوة السلفية ، وهذا مما ستعرض له تفصيلا ونحن نؤرخ لدور الرياض التوحيدي .

فعند استيلاء الأمير عبد العزيز على الرياض ١٩٠٢م / ١٣١٩هـ وحتى إعلان قيام المملكة العربية السعودية ١٩٣٢م / ١٣٥١هـ نستطيع أن نؤكد أن الرياض كانت هي الوحدة السياسية ذات الفعالية والديناميكية الأساسية حيث تمثل الكيان السياسي المنفرد وفي كل الأنحاء وعلى ذلك فإننا عندما نؤرخ للعلاقات السياسية بين الرياض والآخرين ، وعندما نتحدث عن دورها التوحيدي فإننا وبكل التأكيد لا نكون قد خلطنا بين معالجة سياسة الرياض كعاصمة سياسية وبين التأريخ لسياسة الدولة (فيما بعد) .

فقد كانت الرياض من ١٩٠٢ - ١٩٣٢م هي الدولة والمملك بمجلسه الخاص يمثل السلطة تشريعا وتنفيذا .

ولقد ثبت أن الدول المحيطة ذات المصالح وعلى رأسها بريطانيا قد خاطبت الرياض في شخص الملك عبد العزيز في فترة لاحقة لاستيلائه على الأحساء والقطيف ، عندما جاور الكويت وقطر والبحرين ثم تتعامل الدولة العثمانية معه أيضا في صراعه مع ابن رشيد ثم تتوالى عليه عروض بريطانيا وفرنسا والجميع يعتمد على أهدافه المنبثقة عن وضعه السياسي والجغرافي والتاريخي ولم يكن له قاعدة غير الرياض .

وفي ذلك أيضا نرى أول اجتماع بين وكيل بريطانيا السياسي في البحرين يتم في الرياض ١٩١٣م / ١٣٣١هـ مبعوثا من حكومته والحديث عن مصالح الفريقين وخطر امتداد النفوذ الألماني من العراق إلى الخليج . ثم مرة أخرى وكيلها السياسي في الكويت كولونيل هاملتون يفد إلى الرياض ١٩١٣م / ١٣٣٢هـ وأيضا عرض فرنسي يحمله مبعوث فرنسي إلى الرياض في مارس ١٩١٣م بمساعدة مالية سنوية كبيرة مقابل تأمين حرية تجارة الأسلحة في العقير والقطيف . وهكذا تتوالى الاتصالات فتعقد بريطانيا أول معاهدة مع الرياض في عام ١٩١٥م (العقير)^(١) والتي سيرد عرضها فيما بعد .

كل ذلك في حين لم تكن معالم الدولة قد ظهرت أو تحددت حتى النية في قيامها بالشكل التقليدي إنما كان الكيان السياسي الموجود في ساحة الأحداث هو الرياض (والملك) .

وعندما بدأت الرياض في ممارسة دورها التوحيدي نرى أن الدولة العثمانية قد أرغمت على الوضع الجديد في الرياض باستيلاء عبد العزيز عليها وخروجها من سيطرة ابن رشيد ، فقد حاولت سدّ الطريق أمام زحف عبد العزيز لتحقيق ذلك الدور التوحيدي ففي مرحلة أرسلت جيشا لمساندة ابن رشيد وانتهت بالفشل في معركتي البكيرية والشنانة اللتين تعتبران ضمن العلامات الفاصلة في تاريخ نجد عام ١٩٠٤م / ١٣٢٢هـ^(٢) .

وفي مرحلة أخرى تخلت عن ابن رشيد للدخول في مفاوضات مع الرياض على أساس إقرار سلطة عبد العزيز على ما في يده في نجد على أن يكون فيها مستشارون من الدولة العثمانية فرفضت الرياض شروط الاتفاق المقترح ثم انهارت محاولة ثانية لمفاوضات جديدة ، الأمر الذي أدى إلى استئناف القتال مع

(١) الزركلي ، المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢٧٩ - ٢٨١ .

ROBERT LACEY, OP. CIT, PP. 76-82.

(٢) أمين الريحاني ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

ابن رشيد والذي انتهى بمقتله في موقعة روضة مهنا عام ١٩٠٦م / ١٣٢٤هـ، على أن مظاهر العداء مع آل رشيد لم تنته بذلك فقد عادت الصراعات بين الرياض وإمارة الجبل مرة أخرى^(١).

وقد لاقى الرياض في تلك الأونة مصاعب جمّة ومشاكل كثيرة مختلفة الجذور ولا سيما من مكائد السلطات العثمانية وتحريضها بعض القبائل والفئات للتمرد ضد الرياض بعد إمدادها (القبائل) بالسلاح والدعم المادي كرد فعل لجلائها عن القصيم واهتزاز هيبتها في جزيرة العرب.

وعلى ذلك فقد قامت حركات التمرد والارتداد في عدد من الإمارات التي كانت موالية للرياض من بينها إمارة بريدة. التي شق أميرها عصا الطاعة وأخذ يتقرب من خصومها لذا فقد هاجمته الرياض في حملة تأديبية واقتحمت قواتها عليه حصنه بعد مقاومة قصيرة انتهت باستلامه وطلب العفو من حاكم الرياض الذي أجابه لطلبه حيث عزله وعين أحمد بن محمد السديري بدلا عنه^(٢).

وتأتي الذروة في تفكير الرياض بضم الأحساء وانتزاعها من سيطرة العثمانيين، وتعتبر فكرة ضم الأحساء إلى سيطرة الرياض حدا فاصلا أيضا في علاقة الرياض مع بريطانيا فقد اعترض ظهور الرياض على تلك الصورة المؤثرة في مسار الاستراتيجية البريطانية في المنطقة لفترة لم تحسن فيها بريطانيا تقديرها لما ستطور إليه قدرات الرياض.

(١) محمد منير البديوي، المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود، الطبعة الأولى، مطابع نجد التجارية، الرياض، ١٩٧٧م / ١٣٩٧هـ، ص ص ١٢٤ - ١٢٦.

ولوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٣، قطر، ١٩٧٥م، ص ص ١٧٠٤ - ١٧٠٥، ١٧١٠ - ١٧١٦، ١٧١٦.

وأمين الريحاني، المرجع السابق، ص ص ١٥٤ - ١٦٠، ١٦٨.

IOR R/15/1/557, P 44. <<POLITICAL RESIDENCY, BUSHIRE IBN SAUD AND (٢) IBN RASHID>>.

وهذا ما يكشف عنه رد فعل بريطانيا حيال الاتصالات التي دارت في البحرين بين عبد الرحمن بن سلمان* من قادة الأحساء مندوبا عن الرياض والسيد فاسكني مندوبا عن بريطانيا، والتي كانت تهدف إلى اطلاع بريطانيا على الأحوال الداخلية في الأحساء من حيث تدمير الأهالي من الحكم العثماني وتقرير الانضمام إلى الرياض قد أصبح أمرا مؤكدا^(١).

وكان الاتصال الأول يدور حول ضرورة دعم تحرك الرياض لضم الأحساء إذا ما قامت تركيا بتحريك مضاد، وقد رأت بريطانيا عدم تشجيع الرياض على مثل هذه الخطوة^(٢)، رغم تجاوب حكومة الهند البريطانية مع نوايا الرياض، وقد توسمت فيها القوة الصاعدة في المنطقة والتي يمكن أن تكون سندا لتحقيق الاستقرار للسياسة البريطانية في شبه الجزيرة.

وفي عام ١٩٠٦م / ١٣٢٤هـ أعادت الرياض إرسال مبعوث آخر هو مساعد بن سويلم لإطلاع مندوب بريطانيا في البحرين على مدى القدرات التي وصلت إليها الرياض على أثر انتصاراتها المتوالية في نجد وضرورة الاستفادة من هذه الانطلاقة للقيام بضم الأحساء والقطيف، ويعيد طلب الدعم من بيرس كوكس. المندوب البريطاني في البحرين غير أن هذا المندوب لم يستطع أن يلبي نداء الرياض وأفادة بأنه في موقف لا يستطيع معه الاجابة على عرضها.

وعندما تمكنت الرياض من ضم القصيم، وأصبحت تهدد الوجود العثماني في شبه الجزيرة إلى حد أن دفعت القوات العثمانية إلى خارج نجد حيث وصلت إلى المدينة المنورة، وعاودت الرياض الحوار مع بريطانيا حول إخراج العثمانيين

* عن أعيان مدينة الهفوف، وعلاقته بدار المعتمد البريطاني قوية وقديمة.

انظر محمد جلال كشك، المرجع السابق، ص ٣١٥.

(١) تركي بن محمد بن سعود الكبير، علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز آل سعود، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الامام، الرياض، الاثنين في ١٢/٣/١٩٨٥م ص ١٤٠٦/٣/٢٠.

TROELLER, GARY, THE BIRTH OF SAUDI ARABIA. FRANK CASS (٢) LONDON, 1987, P. 39.

من الأحساء مما سيكون في صالح الاستراتيجية البريطانية الرامية إلى تقليص نفوذ العثمانيين في المنطقة إلا أن بريطانيا رأت أيضا في هذه المرة عدم إثارة المشكلات مع تركيا في هذا الوقت بالذات^(١).

وفي عام ١٩١١م/ ١٣٢٩هـ بحثت الرياض تصوراتها حول موضوع الأحساء للمرة الأخيرة مع بريطانيا من خلال الكابتن شكسبير الوكيل السياسي لبريطانيا في الكويت الذي قدم إلى نجد لتقصي الحقائق والتطورات السياسية، والوقوف على مقدرة الرياض في السيطرة على زمام الأمور، وأيضا لم تستطع الرياض الحصول على وعد من بريطانيا لمساندتها في تحركها لضم الأحساء الأمر الذي أيقنت معه ضرورة الاعتماد على قدراتها الذاتية واستغلال انشغال الدولة العثمانية في حربها ضد إيطاليا ١٩١٤م/ ١٣٣٣هـ في شمال إفريقيا، وأيضا في حرب البلقان واضطرارها لاستدعاء أجزاء كبيرة من قواتها المرابطة في بغداد والبصرة ثم مفاجأة قوات الأتراك في الأحساء والقضاء على مقاومتهم التي انتهت بضم الأحساء ١٩١٣م/ ١٣٣٢هـ^(٢) معتمدة على قوات شبه نظامية وقوات من أهل الهجر الذين كانوا يسمون (بالإخوان) وسارت هذه القوات نحو الهفوف مركز الإدارة العثمانية الرئيسي في المناطق الشرقية القريبة من الخليج العربي، حيث كانت هذه المناطق تشكل جزءا هاما من الدولة السعودية الثانية واصطدمت قوات الرياض مع الحامية العثمانية في الهفوف^(٣)، واستولت على الكوت* وكانت أهم شروط التسليم هي أن تضمن الرياض حياة من كانوا في

(١) تركي محمد، المرجع السابق، ص ٢ - ٤ .

(٢) دلال مخلد الحربي، علاقة سلطنة نجد وملحقاتها ببريطانيا ١٩١٥-١٩٢٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات بالرياض، ١٩٨٨م/ ١٤٠٩هـ، ص ٤٣ .
كشك، المرجع السابق، ص ٣٣٩ - ٣٤٠، ٣٤٧ - ٣٤٨ .

LIPSKY, OP. CIT, P. 144.

(٣) IOR, R/15/2/31 PP. 66-74, FROM ABDUL AZIZ BIN SAUD TO HIS
BRITANNIC MAJESTY'S CONCUL GENERAL AT BUSHIRE, 1913 POLITICAL
AGENCY, BAHRAN IBN SAUD.

* الكوت قلعة بناها سعود بن عبد العزيز بن محمد عام ١٨٨٨م/ ١٣٠٦هـ بعد أن فتح مدينة الهفوف وانتصر على صاحبها ابن عريعر، والكوت كلمة برتغالية بمعنى القلعة .
انظر . حافظ وهبه، جزيرة العرب ص ٨٠ .

الحصن وفي المقابل تجلبى المقاتلين عن المنطقة دون أن يحملوا معهم شيئا من الأسلحة أو العتاد أو الذخيرة، وتمت الموافقة على الشروط وانتقلت الحامية إلى العقير ومنها سافرت إلى البحرين ومن هناك تدبر العثمانيون أمر ترحيلهم إلى البصرة^(١).

بسقوط الهفوف استسلمت لقوات الرياض باقي الحاميات الصغيرة المتمركزة في مواقع متفرقة من منطقة الأحساء^(٢).

وهكذا وجدت الدولة العثمانية أن الرياض أصبحت هي صاحبة السيادة والسلطان دون منازع على كامل مناطق نجد والقصيم والأحساء، فاضطرت إلى الرضوخ للأمر الواقع وحاولت استرضاءها والتقرب إليها ولو ظاهريا فكان أن منحت حاكمها لقب (الباشاوية) واعترفت هي وبريطانيا به حاكما على نجد وتوابعها ثم اعترفت به بريطانيا في وقت لاحق سلطانا على المناطق التي كانت تحت نفوذ حاكم الرياض^(٣). هذا في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تتصل سرا بآل رشيد وتمدهم بالسلاح وتحرضهم على مناوأة الرياض ومنافستها^(٤).

وقد ترتب على فتح الأحساء والذي تميز بأنه كان موجها بالكامل ضد بريطانيا وأن بدت ظاهريا عملا عسكريا ضد الأتراك ما يلي:

١ - أن فتح الأحساء أضاف بعدا جديدا لسياسة الرياض ومجالا ايجابيا في أول خطواتها في العلاقات الدولية، إذ أصبحت الرياض على اتصال مباشر مع مجريات الأمور في الإمارات المجاورة والكويت وبالتالي فقد

FO 371/1820 26541 (FROM COX TO THE SECRETARY TO THE GOVERNMENT OF INDIA) MAY 15/1913.
- TROELLER, OP. CIT, PP. 43-44.

(٢) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ص ٢٠٥ - ٢١١.

FROM (POLITICAL AGENT, KUWAIT G.C. MORS.

(3) IOR R/15/5/28, PP. 5-6 TO (ABDUL AZIZ BIN SAUD).

(٤) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

أصبحت على عتبة أبواب السياسة الإنجليزية في المنطقة بأبعادها المتعددة.

٢ - هذا الفتح كان بدءاً للتبادل الحدودي بين الرياض وجيرانها، فهناك حركة تجارية وبالتالي أصبح للدولة أول مواردها الجمركية المنظمة.

٣ - أما على الصعيد السياسي فإن ضم الأحساء للدولة الحديثة قد أوجب عليها إعادة حساباتها بطريقة أخرى لتتوافق مع تطلعاتها في بناء الدولة^(١).

وعندما وضعت الحرب العالمية أوزارها وجدت الرياض أن المنطقة التي تقع تحت سيطرتها والتي تضم نجد والقصيم والأحساء قد أصبح جزء كبير منها واقعا بين مناطق خصمين لا يستهان بهما:

الأول: في الشمال وهم آل رشيد وعاصمتهم حائل التي تبسط نفوذها على مناطق جبل شمر والأماكن المجاورة.

الثاني: هو الشريف حسين صاحب السلطة والنفوذ على الحجاز وتوابعها وما تضم هذه المنطقة من أماكن مقدسة لها خطورتها.

أما الحقيقة التي نصل إليها بالنسبة لبريطانيا فهي أن ترددها في الاستجابة لنداءات الرياض المتكررة حول ضم الأحساء يرجع إلى أنها رأت أن نجاح الرياض وقوتها في مثل هذه المرحلة المبكرة يمثل خطرا على مصالحها في الخليج حيث لم تنته بعد من تحقيق وترتيب تقليص الدور العثماني في المنطقة عسكريا وسياسيا ليصبح لها (بريطانيا) مطلق الأمور والسيطرة، إلا أن الرياض وقد أشرفت على الخليج بضمها للأحساء أصبحت واقعا يعترض الاستراتيجية البريطانية في المنطقة وكان لا بد من خطط بريطانية جديدة لمواجهة هذا الواقع ومحاوله احتوائه أو على الأقل تحديده مرحليا.

(١) الزركلي، المرجع السابق، ج١، ص ١٤٩.
وكشك، المرجع السابق، ص ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

هذا في الوقت الذي كانت تتذبذب فيه السياسة البريطانية وتقلب نحو الرياض بعد ضم الأحساء وظهورها كقوة مؤثرة في الأحداث، فقد عملت بريطانيا على أن تهيء للرياض أسبابا تؤرقها في الداخل وتجعلها خطرة لسبب أو لآخر لقبول ما يطلب منها من تنازلات أو تعهدات، وكان هذا التقلب والتبدل قصدا من بريطانيا فتحدد طريقة تفاعلها معها على أساسه، ثم لتشعر دائما بحتمية ملائمة سياستها مع الاستراتيجية البريطانية في المنطقة لتحقيق دور محدد فيها يكون مطلوبا لها أن تلعبه.

لذلك نراها في إحدى المراحل تؤيد الرياض في القضاء على بقايا آل رشيد ثم في فترة تالية تعترض تقدمها للقضاء على فيصل الدويش*، ثم تعمل على نقل الصراع مع الرياض إلى آفاق أخرى، فأوعزت إلى الشريف حسين في الحجاز بالتنكر للدولة العثمانية وأمدته بالمال والسلاح، ثم أغرته بقيادة الثورة على العثمانيين يعلن بعدها الانفصال عن الخلافة العثمانية وإعلان الخلافة العربية^(١). وكان ذلك في حد ذاته يشكل عنصرا مؤرقا لنهضة الرياض، هذا في الوقت الذي أبقته فيه بريطانيا على علاقتها الودية مع الرياض أثناء هذه الثورة حرصا منها على تحييدها في صراع الشريف حسين مع الأتراك.

ولاستكمال إحكام الحلقات حول الرياض عقدت بريطانيا مع الإدريسي الذي وضع يده على إقليم عسير بعد مباحثات ومفاوضات انتهت بمعاهدة جيزان ٣٠ أبريل ١٩١٥م/ جمادى الآخرة ١٣٣٤هـ أثبتت بها وجودها في

* فيصل بن سلطان بن فيض بن نايف الدويش، آخر شيوخ مطير، ومن كبار أصحاب الثورات في نجد، وكان فيصل بدويا، فيه شراسة ودهاء واعتزاز قام بزعامة مطير بعد أبيه وصحب ابن سعود (عبد العزيز) في صباه، وخالفه عام ١٩١٢م/ ١٣٣١هـ فقصده أطراف العراق بجماعة من عشيرته، فطاردته السلطات العثمانية، فعاد إلى نجد بعد سنتين، وانزله ابن سعود في الأوطاية «وهي دار هجرة كبيرة للإخوان بين الزلفي والكويت» واشترك مع عبد العزيز في كثير من الغزوات ولكنه اختلف معه في النهاية، وكان مصيره السجن في الأحساء ١٩٣٠م ومات بعد سبعة أشهر من حبسه.
انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، المجلد الخامس، دار العلم للملايين، ص ١٦٦.
(١) الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج١ مرجع سابق، ص ٢١٧.

الجنوب، ثم تقدمت القوات البريطانية حتى بلدة (القرنة)* وذلك بعد احتلالها البصرة، وبذلك تمت لها السيطرة على الخليج العربي، وقد أتاح لها ذلك القدرة على تهديد الأحساء والضغط على الرياض، إذا دعت الضرورة بحصار بحري وبذلك كان التواجد البريطاني حول الرياض شمالا وجنوبا إلى جانب الخليج شرقا^(١). وذلك بدافع العمل على تأمين مصالحها في الخليج وحيال قبائل العراق إلى جانب سلامة خطوط مواصلاتها في الهند^(٢).

ولا شك أن بريطانيا كانت قد وضعت الرياض تحت بصرها منذ بدأت إلى أن نجحت في ضم أجزاء نجد، ولم تكن رحلات ومباحثات مبعوثها الاستطلاعية، مثال شكسبير وقلبي لتذهب هباء دون التخطيط لغنيمة من الرياض.

وبعد مباحثات مع بيرس كوكس تم الاتفاق على عقد معاهدة في العقير، عرفت باسم معاهدة دارين في ٢٦/ ديسمبر/ ١٩١٥ م ١٨/ صفر ١٣٣٤ هـ.

وقد اختلفت الآراء حول هذه المعاهدة لما فيها من نصوص تبدو جائرة في حق سيادة الرياض المتكاملة على أراضيها التي استردتها، وتحجيم معاملاتها وعلاقاتها الدولية والداخلية بحيث ترتبط وتدور في فلك الاستراتيجية البريطانية في المنطقة لا سيما وقد أفصحت ظروف الحرب العالمية عن ضرورة تعميق وترسيخ تلك الاستراتيجية.

وهنا لا بد لنا من وقفة على معاهدة دارين وتحليل بنودها والتي نصت على:

١ - اعتراف بريطانيا بسيادة الرياض على نجد والأحساء والقطيف والجبيل وتوابعها وتعترف بسيادة حاكمها (عبد العزيز) على قبائلها ويتوارث

* في العراق، حيث يلتقي نهري دجلة والفرات في شط العرب.

(١) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج٢، دار الحياة، بيروت، ص ص ١٧٢ - ١٧٣.

TROELLER, OP, CIT, PP. 86 - 91

(٢) حافظ وهبه، خمسون عاما في جزيرة العرب، الطبعة الأولى، مصر، ١٩٦٠م، ص ص ٥٥ - ٥٦.
TROELLER, OP, CIT, PP. 91 - 92

الحكم بين أبنائه وخلفائه على ألا يكون الحاكم المرشح منهم للحكم مناوئا للحكومة البريطانية بوجه من الوجوه .

ونرى في هذا البند أن بريطانيا تقرر أمرا واقعا من حيث السيادة على المناطق التي وردت في المعاهدة ، وكأنها تحدد أراضي الدولة الحديثة بما وصلت اليه حين توقيع هذه المعاهدة في ضم أجزاء ما زالت جيوبا لمقاومة سلطانها داخل نجد . وفي الوقت نفسه الذي تشير فيه إيجاعات المعاهدة بخطر التطلع إلى الحجاز بالضم أو بسط النفوذ عليها ، وهذا يؤكد البند الخامس الذي سيأتي ذكره فيما بعد ذلك . كما أن بريطانيا عندما تضع للحاكم من الورثة شروطا ومواصفات فإن ذلك يعتبر تدخلا في صميم السيادة الخاصة للدولة عندما تشترط استمرارية الولاء لها بين ورثة الحكم في الدولة الحديثة .

٢ - تتعهد بريطانيا بمعاونة الرياض إذا ما وقع عليها أي اعتداء من دولة لم تحظر الحكومة البريطانية أو تراجعها في ذلك حتى يكون أمامها فرصة لتسوية الخلاف . يتضح لنا أن بريطانيا في هذا النص لا تأخذ موضوع معاونة الرياض معاونة مطلقة ضد أي اعتداء بل أرادت بهذا النص رعاية سيادتها على المنطقة بالدرجة الأولى إذ لا تسمح بأي تدخل خارجي في مناطقها تلك ، إلا إذا كان تجاوز إحدى الدول أراضي الرياض (كدولة حديثة) محققا لهدف أو مصلحة لشامل السياسة البريطانية وبعد موافقتها فهذا أمر لم يتعهد به مفهوم هذا النص .

٣ - تتعهد الرياض بالامتناع عن أي اتفاق أو معاهدة مع أي دولة أجنبية مع تبليغ الحكومة البريطانية بأي تدخل من قبل أي دولة في الأراضي المذكورة سابقا .

٤ - تتعهد الرياض بعدم تسليم أو بيع أو تأجير أو التنازل عن أي جزء من أراضيها (أو منح امتياز) لأي دولة أجنبية أو رعايا دولة أجنبية دون رضا

الحكومة البريطانية، كما تتعهد باتباع مشورتها (الحكومة البريطانية) في هذا الأمر.

ونستخلص أنه بهذين البندين تعتبر الرياض في حكم إحدى المحميات أو الدويلات التي تدور في فلك بريطانيا سياسيا وعسكريا واقتصاديا، وبهذا أيضا تكون بريطانيا قد عقدت معاهدة مع الرياض بنفس روح وأهداف تلك المعاهدات التي عقدتها مع إمارات الخليج.

٥ - تتعهد الرياض بحماية الحجاج أثناء ذهابهم إلى الأراضي المقدسة وإبقاء الطرق المؤدية إليها مفتوحة.

وهذا أيضا يعتبر تدخلا بريطانيا في الشؤون الداخلية للدولة الناشئة، فضلا عن كونه اهدارا لحق الرياض في مزولة سيادتها الأمنية في الداخل في الوقت الذي تظهر بريطانيا بهذا النص نفسها حامية للمسلمين وعقيدتهم الإسلامية.

٦ - تتعهد الرياض بعدم الاعتداء على الإمارات التي تحت الحماية البريطانية في الخليج، وهي الكويت والبحرين وقطر وسواحل عمان، كما ستعين الحدود مع الدولة الحديثة وبين تلك الإمارات فيما بعد.

٧ - تتفق بريطانيا والرياض على عقد معاهدة أخرى بالتفصيلات التي تتعلق بهذه المعاهدة^(١).

وفي مجمل الأمر فإن الرياض عندما اضطرت إلى عقد هذه المعاهدة لم تكن تمتلك من أدوات السياسة وصناعاتها ومستشاريها ما يجنبها حبال بريطانيا في الوقت الذي كان موقفها بعد موقعه جراب ومناوشات وقاتل العجمان لا يساعدها إن أرادت أو استطاعت على فرض شروطها، وإنما اعتبرت أن هذه المعاهدة خطوة على الطريق تستطيع بمقتضاها الحصول على المساعدة المالية

FO. 371/3390, 19070

(١)

وعرض حكومة المملكة العربية السعودية - المصدر السابق، ص ص ٣٦٩ - ٣٧٩.

التي تمكنها من القضاء على معارضة ابن رشيد في الداخل ، وذلك ما يتفق مع مصالح بريطانيا إذ أن ابن رشيد حليف للأتراك وربما أدركت الرياض أيضا بفطرتها السياسية أن المتغيرات الدولية ربما ستحتّم على بريطانيا إعادة النظر في دقائق علاقاتها معها مما يؤدي إلى اتفاق من نوع آخر يكون متوازنا في حقوقها وتعهداتها^(١).

وإذا كان تقدير الرياض على هذا النحو فقد صح هذا التقدير، فقد عقدت مع بريطانيا معاهدة جدة (٢٠ مايو ١٩٢٧م/ ١٨ ذي القعدة ١٣٤٥هـ) التي ألغت فيها فعاليات هذه المعاهدة، وتحررت الرياض بموجبها من قيود السياسة البريطانية، وقد جاءت هذه المعاهدة بعد أن فرضت سيطرتها على أرض الحجاز وضممتها إلى الدولة الحديثة، وزادت بذلك مسئولية الرياض الأمنية والداخلية فقد استطاعت الرياض بموجب معاهدة جدة الحصول على تعهد من بريطانيا بإباحة تصدير الأسلحة والأدوات الحربية إلى جزيرة العرب، هذا إلى جانب الإقرار بالسيادة الكاملة على أمور الدولة خارجيا وداخليا^(٢).

وقد أخذت العلاقات بين بريطانيا والرياض طابع الندية إلى حد ملحوظ وقد وضعت بريطانيا حاكما قويا تأمن من اضطرابات شبه الجزيرة العربية التي هي العمق الاستراتيجي لتواجدها في الخليج والعراق بضم الحجاز إلى سلطة الرياض، أمنت أيضا الساحل الشرقي والبحر الأحمر لتكيف وجودها فيه.

وقد شغلت الرياض فيما بين المعاهدتين حيزا كبيرا من مخططات بريطانيا في المنطقة أو يمكن القول إن الدور التوحيدي الذي كانت تقوم به الرياض كان محورا لكثير من وقائع الأحداث التي شكلت الإطار العام للوجود البريطاني في

(١) جون فيليبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تعريب عمر الديراوي المكتبة الأهلية، بيروت ص ص ٣١٥ - ٣٢٦.

(٢) أمين الريحاني، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص ص ٤٤٨ - ٤٥٠.
وأحمد طريبي، تاريخ المشرق العربي المعاصر، مطبعة طريبي، دمشق، ١٩٨١ - ١٩٨٢م/ ١٤٠١ - ١٤٠٢هـ، ص ص ٥١٠.

المنطقة فقد أصابت العلاقات بين الرياض وبريطانيا بعض التوترات التي أثارها متغيرات السياسة البريطانية في المنطقة .

ولا يمكن القول بأن الرياض كانت هي السبب المباشر في تلك العثرات ذلك لأن الايقاع الذي سارت عليه في توحيد الأجزاء والمناطق لتكوين الدولة في نجد ثم الامتداد في الحجاز إلى حدود اليمن جنوبا وحدود الأردن شمالا أظهر للرياض واقعا يتطور ذاتيا بصورة تخشى معها بريطانيا على نفوذها في المنطقة ما لم تكن قد أعدت للأمر الواقع ما يبقى الزمام في يدها . الأمر الذي حدا بالسياسة البريطانية كما ذكرنا سابقا إلى إيجاد أشكال بعض العقوبات في طريق الرياض لا يجعلها متفرغة كل الوقت وبكل الجهد لتحقيق دورها التوحيدي لبناء الدولة الحديثة . بينما تحول في نفس الوقت تكريس طاقات وإمكانات الرياض لخدمة الإطار العام للاستراتيجية البريطانية على المدى القريب والبعيد .

أما العلاقات بين الرياض والأشراف فقد كانت ماثلة أمام بريطانيا على مدى مراحلها المتغيرة في حين عمدت الرياض إلى عدم الدخول في نزاع مع الأشراف في فترة مواجهة ابن رشيد وترتيب الأوضاع الداخلية في نجد، حيث اعترفت الرياض بالأشراف وبما لهم على شرط أن لا يتدخلوا في أحوال نجد والرياض حتى أنها رفضت إمارة مكة التي عرضها الأتراك تحسبا من مواجهة الأنجليز .

وفي مراحل مواجهة الشريف حسين مع الأتراك رحبت الرياض بالحركة العربية حتى ما رأى الشريف أن انتشار الدعوة الدينية الآتية من نجد إلى العشائر المتاخمة للحجاز يعد أمرا يهدد مصالحه خاصة بعد انحياز تلك القبائل إلى الاتجاهات الدينية للرياض ، أرسل قواته لتأديب العشائر مما أثار غضب الرياض ، وكان لا بد من المواجهة العسكرية خاصة بعد أن منعت حكومة الحجاز الحجيج من دخول أراضيها لأداء فريضة الحج وتحركت الرياض لحسم

الموقف مع الحجاز بإستيلائها في ٢٥ مايو ١٩١٨م/ ١٣٣٧هـ على «تربة» بقيادة سلطان* بن بجاد والشريف خالد** بن لؤي^(١).

وبعد موقعة تربة* أدركت الرياض أن قوات الشريف حسين لم تعد تشكل خطراً أو تهديداً كبيراً بالنسبة لها، إلا أن ما منع الرياض من التقدم إلى أبعد من تربة هو الإنذار الذي وصلها من الحكومة البريطانية في ٤ يونيو ١٩١٩م/ ٥ رمضان ١٣٣٧هـ. حذرتها فيه من التقدم في الأراضي الحجازية^(٢). والذي كان أحد وسائل بريطانيا لتحجيم نشاط الرياض وحركتها التوحيدية.

وبعد هذه الموقعة اتجهت أنظار الرياض لإخضاع جبل شمر والمناطق القريبة وذلك بعد أن تسببت منطقة جبل شمر الكثير من المتاعب للرياض، نتيجة للصدامات المسلحة المتعاقبة التي كانت تقع بين أنصارها وبين الموالين لآل رشيد. وما كان يعقب هذه الاشتباكات من مفاوضات واتفاقيات على

* سلطان بن بجاد بن حميد من عتيبة، قائد شجاع من البادية ما بين الحجاز ونجد صحب ابن سعود (عبد العزيز) في غزواته، أقام في هجرة الغطف على مقربة من الرياض فكان زعيمها. كان من العسير على أن بجاد وهو العريق في البداوة أن يرتاح إلى أساليب من الحضارة الجديدة، فأنكر كل ما هو حضاري، وتحول بعد الطاعة والإخلاص نائراً، التفث حوله جموع من قبيلته عتيبة، وناصره فيصل الدويش، واتسعت الفتنة وانتهت بالقبض عليه ووضعه في سجن الرياض وبعد سنة ونصف مات في سجنه.

انظر الزركلي، الإعلام، المجلد الثالث، ص ١٠٩.

** خالد بن منصور بن لؤي من العبادلة، شريف من الأمراء الشجعان، كان له ولأسلافه إمارة الخزعة في شرقي الحجاز، وثار على الأتراك في الحرب العالمية الأولى مع الشريف حسين بن علي، وهو من بني عمومته، عرض على سلطان نجد طاعته وولائه، وعلم الشريف بذلك فحاول محاربته ولكنه هزم، توفي في صبيان عن نحو سبعين عاماً.

انظر الزركلي، المرجع السابق، المجلد الثاني ص ص ٢٢٩ - ٣٠٠.

(١) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ص ٢٤٤ - ٢٥٧.

وحافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ص ٢٠٩ - ٢١٥.

TROELLER. OP. CIT, PP. 142-147

* تربة بلدة تقع على بعد ٧٥ ميلاً عن جبل حضن إلى الجنوب، وجبل حضن هو الحد الفاصل بين نجد والحجاز، وسكان هذه البلدة من عرب البقوم، وفيها عدد من جماعة الأشراف يملكون أكثر أراضيها. وتربة ذات أهمية استراتيجية لأنها تقع في الطريق إلى الطائف، بل هي بابا الطائف من جهة نجد، وحسن الطائف من الوجهة الحجازية.

انظر: صلاح الدين المختار، المرجع السابق، ص ٣٠٢.

(٢) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، المرجع السابق، ص ٢١١.

وكنت، وليامز - الدولة السعودية، تعريب صمويل مسيحه، بيروت ١٩٣٤م، ص ٩٣.

الصلح لا تلبث أن تنقضي ويعود الاقتتال إلى ما كان عليه . وإزاء هذه الأوضاع غير المستقرة كان لا بد للمشكلة الشمرية من حل جذري ، لهذا جهزت الرياض عام ١٩٢٠م / ١٣٣٩هـ قوة أرسلت إلى حائل عاصمة جبل شمر ومركز آل رشيد ، وما إن وصل المقاتلون حتى أرسل أهل حائل وفد للتفاوض والمصالحة على أساس أن يبقى لجبل شمر استقلال داخلي بينما تترك الشؤون الخارجية لسلطة الرياض^(١) .

وبعد مفاوضات رأت الرياض أن هذا المطلب لن يحل المشكلة الشمرية بل سيزيدها تعقيدا كما سيكون مثل هذا الاستقلال مصدرا للمشاحنات والمتاعب^(٢) .

والخلاصة أن منطقة جبل شمر كان نصيبها كغيرها من المناطق بدخولها في طاعة الرياض عام ١٩٢١م / ١٣٤٠هـ^(٣) .

إذا كانت حادثة الخزعة والصدام المسلح الذي وقع بعد ذلك في تربة بين قوات الشريف حسين وقوات الرياض تعتبر من الأحداث الرئيسة التي مهدت لبداية الخصام وتفاقمه بين نظامي الحكم في الحجاز ونجد ، فإن هاتين الحادثتين عادتتا من جديد لتكونا مضاعفات وذيولا تمخضت عن اندلاع حرب شاملة بين سلطنة نجد ونظام الحكم الهاشمي في الحجاز .

وقد حدث ذلك في أعقاب قيام الشريف حسين بمنع النجديين من دخول أرض الحجاز ردا على ضمهم تربة بعد أن كانت تحت سيادة الأشراف من قبل . فكان لقضية المنع هذه وقع شديد على النجديين^(٤) . لذلك دعا سلطان نجد

(1) IOR R/15/1/557 PP. 15, 75, 141.

[POLITICAL RESIDENCY, BUSHIRE, IBN SAUD AND IBN RASHID]

(2) IBID, P. 75

(3) IOR R/15/5/28, PP. 56-59, 63-64.

[POLITICAL AGENCY, KYWAIT, BRITISH, RELATION WITH IBN SAUD, 1921]. LIPSKY, OP. CIT. P.5.

(4) IOR R/15/1/557, PP. 32-39, 125-127, 160-171 (61/6 VOL. III <<POLITICAL RESIDENCY, BUSHIRE IBN SAUD AND SHARIF OF MACCA>>

إلى عقد مؤتمر في الرياض ١٩٢٤م/ ١٣٤٣هـ حضره عدد كبير من رجال الدين والعلماء وشيوخ القبائل وممثلوا إمارات السلطنة، تدارس هذا المؤتمر قضية منع أهالي نجد من الوصول إلى الأماكن المقدسة والتي مضى عليها أكثر من خمس سنوات، فكان قرار المؤتمر هو أن الحج ركن من أركان الإسلام، وأن مكة المكرمة وبقية الأماكن المقدسة ليست ملكا لأحد وبالتالي لا يحق لأي كان أن يمنع المسلمين من أداء فريضة الحج، وهذا يعني أن أهالي نجد سوف يضطرون إلى الوصول إلى مكة بطريق القوة.

وجرت اتصالات ووساطات على الصعيدين الداخلي والخارجي تلافيا لوقوع الصدام ولكنها لم تسفر عن شيء، فكان ذلك مؤشرا بنشوب الحرب وحدث ما ليس منه بد وانطلقت القوة العسكرية النجدية متجهة إلى الطائف ١٩٢٤م/ ١٣٤٣هـ، وفي هذه الأثناء وصلت الأنباء بأن الشريف حسين سمح للنجديين بأداء فريضة الحج ولكن الوقت قد فات.

وفي عام ١٩٢٥م/ ١٣٤٤هـ، دخلت قوات الرياض جدة، وفي عام ١٩٢٦م أصبحت سلطنة نجد تعرف باسم مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها^(١).

ونستخلص مما سبق أن الرياض بهذا التحرك وصلت في علاقاتها إلى حد الحرج مع الحكومة البريطانية، وربما أرادت الرياض أن تعبر عما يدور في خلدتها بأنها لا ترى في غيرها الكفاية لريادة الفكر الإسلامي ثم إن الأحداث قد أوجبت عليها التحرك لمواجهة الأشراف وهي لا ترضي أن يصبح كل ما قامت به من ضم وفتح وحسم أحداثا لا جدوى منها إذا ما وقفت مكتوفة الأيدي أمام اعتراض شريف الحجاز على رعاياها الأمر الذي اعتبرته الرياض ماسا بمنزلتها ومكانتها الدينية.

(1) LIPSKY, OP. CIT, P. 95.

وعلى صعيد آخر كان طبيعياً أن تولي الرياض - وهي على طريق توحيد أجزاء مملكتها، حدودها الجنوبية رعاية خاصة، ومن ثم عمدت إلى إعادة ترتيب علاقاتها مع اليمن، وتثبيت علاقات حسن الجوار، ومن ثم فقد عقدت مع إمام اليمن في عام ١٩٣٠م/ ١٥ شعبان ١٣٥٠هـ معاهدة صداقة وحسن جوار نظمت أمور الرعايا من كل دولة لدى الأخرى من حيث المعاملة والحقوق والأحكام الشرعية وضبط وتبادل تسليم الخارج عن طاعة دولته^(١).

ونستطيع القول بأن الصراع الذي دار بين الرياض واليمن في فترة سابقة إنما يخرج شكلاً وموضوعاً في بواعثه وأهدافه من ذلك الشكل شبه التقليدي الذي غرسته السياسة البريطانية بين الرياض وجيرانها في الفترة المعاصرة لذلك يمكن أن نطلق على هذا الصراع لعبة الحدود.

وقد ازداد نفوذ الرياض بعد خوضها معارك الاسترداد والضم شمالاً وشرقاً وغرباً، بينما كانت اليمن في الجنوب ترقب الرياض وهي تؤكد سلطاتها بضم الحجاز وبسط حمايتها على عسير، وقد اعتبر اليمن أن زيادة نفوذ الرياض وتأكيد سلطاتها تهديداً لاستقلاله وبقائه، خاصة وقد ارتفعت أصوات من نجد إلى صنعاء تنادي بضم اليمن إلى الدولة الناشئة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الإيجاءات البريطانية لبذر الشقاق والتي قد تمثلت في تلك المقالات التي أخذ «فليبي» في كتابتها حول ضم اليمن كانت تتعارض مع وجهة نظر الرياض وأهدافها.

وقد مر الخلاف مع اليمن في مراحل متعددة ليصل إلى استخدام القوة المسلحة، حيث تعود جذوره إلى الفترة عام ١٩٢١م - ١٩٢٢م/ ١٣٣٩ - ١٣٤١هـ والتي أصبحت فيها عسير تحت سيادة الرياض، وقد أقر

(١) محمد المانع، المرجع السابق، ص ١٩٧.
والمختار، المرجع السابق، ج ٢، ص ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

بذلك السيد محمد بن علي الأريسي عام ١٩٢١م/ ١٣٣٩هـ عندما أوفدت الرياض إليه وفد للنظر في أمر الحدود وعلاقات الجوار^(١).

وفي عام ١٩٢٦م/ ١٣٤٥هـ تم عقد معاهدة عرفت بمعاهدة مكة بين الرياض والإدريسي^(٢)، يعترف فيها بالحدود السابق الاتفاق عليها في معاهدة ١٩٢١م/ ١٣٣٩هـ، إلى جانب تعهده بألا يتدخل في مفاوضات سياسية أو اقتصادية مع أي حكومة، أو يمنح امتياز اقتصادي إلا بعد موافقة الرياض، كذلك فإنه ليس له الحق بصفته إمام عسير أن يتنازل عن جزء من الأرض التي اعترف بسيادة الرياض عليها، وفي المقابل تعترف الرياض بحكم إمام عسير على الأراضي التي تم الاتفاق عليها في معاهدة صفر وتؤكد بها في معاهدة جدة، كما تؤكد الرياض أن تكون إدارة بلاد عسير الداخلية وعشائرها من حقوق إمام عسير على أن تكون الأحكام متفقة مع الشريعة، كما تتعهد الرياض بحماية أراضي عسير من الأخطار الداخلية وتلك التي تهددها من الخارج^(٣).

وهكذا أصبحت الرياض بتوقيعها معاهدة مكة مع اليمن في خط المواجهة مع كلا من إيطاليا وبريطانيا^(٤).

ثم أوفدت الرياض مبعوثها إلى صنعاء لاطلاع إمام اليمن على ظروف دخول الأدراسة تحت حمايتها والاتفاق معها على الحدود وإنشاء علاقات الصداقة وحسن الجوار إلا أن المباحثات التي دارت لم تسفر إلا عن زيادة إصرار اليمن

(١) المرجع نفسه، ص ص ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٢) عبد العزيز محمد الشناوي، وجمال يحيى، وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف، ١٩٦٦م، ص ص ٤٠١ - ٤٠٣.

(٣) أم القرى، العدد ٤١٠٨، الجمعة ٣ رجب ١٣٤٥هـ/ ٧ يناير ١٩٢٧م. و - محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليمان، ج ٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٨٢م/ ١٤٠٢هـ ص ص ٧٦٠ - ٧٦٢.

(٤) كشك، المرجع السابق، ص ص ٤٠٦ - ٤٠٧.

على اعتبار عسير جزءا من اليمن ، وبالتالي عدم الإعتراف بها تم من بسط حماية الرياض على الادارسة في عسير^(١) .

فعاد وفد الرياض بعد فشل مهمته ، ثم دارت الاتصالات مرة أخرى بين الرياض وصنعاء دون التوصل إلى اتفاق . وفي هذه الأثناء أقدمت صنعاء على الاندفاع بقواتها في نجران وبلاد يام إلى أن دخلت جبال بن عبد الله وفيها وبني مالك مخترقة تهامة وحتى الجزء الساحلي من عسير . وهنا استنجد أمير عسير بالرياض فبعثت إنذار نهائيا لتسوية خلافات الحدود ، مهددة بالحرب ، وبالفعل تقدمت قوات الرياض في حملة عسكرية لاقتناع صنعاء أنها تستطيع نقل حركة الصراع إلى قلب اليمن .

وعندما تأزم الموقف استنجدت اليمن بقوات أجنبية لدول عديدة فاستجاب الايطاليون لندائها واتجهت قواتهم بحرا عبر البحر الأحمر إلى ميناء الحديد إلا أن قوات الرياض كانت أسرع في الحركة ومواجهة الموقف ، مما أدى إلى تراجع الايطاليين .

وعلى أثر نداءات من زعماء العالم العربي أصبحت صنعاء أمام الأمر الواقع وفي جلسة مغلقة اجتمع حاكما الرياض وصنعاء وسويت الأمور بينهما ، وأوقفا الحرب عام ١٩٣٤م / ١٣٥٣هـ ، وعادت قوات الرياض بعد أن أصبحت عسير إقليميا ضمن الدولة الناشئة^(٢) . وقد تطورت العلاقات بين الرياض وصنعاء تطورا إيجابيا بعد تلك الأحداث فعقدت بينهما عدة اتفاقيات ثنائية وجمعتها مع أطراف أخرى معاهدات مشتركة تقرر تشكيل المسارات السياسية والاقتصادية بالغة الأهمية .

(١) المختار، المرجع السابق، ج ٢، ص ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٢) المانع، المرجع السابق، ص ص ٢٠٥ - ٢٠٨ .

وأحمد حسين شرف الدين ، المرجع السابق، ص ص ٢٧٢ - ٢٧٦ .

ومحمد العقيلي ، المرجع السابق، ج ٢، ص ص ١١٣٢ - ١١٤١ .

- يونيو ١٩٣٣ م / ٧ صفر ١٣٥٢ هـ اتفاق الطائف الذي ينص على الأخاء والتعاون في خدمة العرب والإسلام وأن تنهضا لمساعدة بعضهما البعض في حالة وجود عدوان خارجي على إحداهما .

- إبريل ١٩٣٦ م / ١٠ من المحرم ١٣٥٥ هـ معاهدة الأخاء والتحالف الإسلامي وفيها انضمت اليمن إليها ، وأصبحت هذه المعاهدة تضم الرياض وبغداد وصنعاء^(١) .

- ٢٠ إبريل ١٩٥٦ م ميثاق أمن جدة ، وهو اتفاق على انضمام الرياض والقاهرة وصنعاء في حلف عسكري للدفاع المشترك فيما بينهم^(٢) .

وهكذا نجد أنه بنظرة شاملة على تلك العقود الثلاثة التي انقضت منذ دخول عبد العزيز فاتحا للرياض ، نرى أن الرياض بدورها الريادي في توحيد نجد وما جاورها قد أقدمت على تكوين كيان مترابط جاز له عندما اكتمل في أوائل الثلاثينات أن يحتل اسم الدولة الحديثة (المملكة العربية السعودية) . وذلك بعد أن خاضت المعارك الواحدة تلو الأخرى كل منها تحقيق ضم أو إخضاع منطقة نفوذ لسلطتها (الرياض) بداية بالقصيم ثم الأحساء والإطال على الخليج ثم على البحر الأحمر بضم الحجاز، مروراً بإخضاع آل رشيد في حائل ثم حسم الموقف مع اليمن بضم عسير .

رابعا : الرياض قاعدة للمملكة :

في الوقت الذي تهيأت فيه الظروف للرياض خارجيا لكي تتفرغ للقيام بدورها الريادي كقاعدة للمملكة العربية السعودية اعترضتها من الداخل ما استقطب من وقتها الكثير وهي على بداية طريقها لتكون العاصمة لهذا الكيان السياسي الكبير الذي كان يحتاج لكل وقتها وجهدها .

(1) IOR R/15/1/571, PP. 50, 91-97 <<CONFIDENTIAL RECORDS>> & HOPWOOD, OP. CIT. P. 148.

(٢) أحمد حسن شرف الدين ، المرجع السابق ، ص ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .
وأمين السعيد ، المرجع السابق ، ص ص ٢٠١ - ٢١١ .

ولما كان تحقيق المجتمع المستقر هو الهدف الأساسي لبناء هذه الدولة التي لا تتحقق إلا بوجود مقومات أساسية تتمثل في وجود الأرض والناس المرتبطين بها والسلطة الحاكمة التي تنظم أمور هؤلاء الناس . ولما كان الطابع الغالب على مواطني الدولة الحديثة هو البداوة، وما يتبعا ذلك من عدم الارتباط بالأرض، إذ هم دائموا السعي نحو الماء والمرعى حيثما وجد، كان لا بد من تطور الحياة البدوية وإيجاد نمط جديد لها تجعل البدوي أكثر ارتباطا بالأرض وبالتالي «أكثر إذعاناً لسيادة السلطة وليس لسطوة القبيلة، ولذلك تقرر استبدال أنماط الحياة البدوية غير المستقرة بحياة ريفية مستقرة عن طريق توطين هؤلاء البدو الرحل وتدريبهم على الزراعة في مواطن استقرارهم الجديدة والتي أطلق عليها «الهجر»^(١).

وهكذا برزت أمام الرياض مسألة تكوين الهجر لتوطين البدو وكذلك مسألة الإخوان التي نتجت عن المسألة الأولى أو تزامنت معها حيث اختلف الباحثون حول أيهما كان سببا في وجود الأخرى .

والواقع أن مشكلة الإخوان وإن كانت تبدو في ظاهرها مشكلة دينية غير أنها في حقيقتها مشكلة اجتماعية في جذورها، سياسية في نهايتها فقد نتجت عن محاولة الدولة توطينهم وربطهم بالأرض وحثهم على العمل حتى اندماجهم واستقرارهم وتكيفهم مع المجتمع الجديد، وقد استخدمت الدولة لتحقيق هذه الغاية أسلوب إرسال الدعاة إلى الهجر . ومن ثم ظهرت تجمعات الإخوان التي أصبحت تمثل مشكلة اجتماعية صبغت بالصيغة الدينية .

وتوضح ذلك أن المجتمع المستقر لم يكن موجودا أصلا لدى البدو، فكيف تظهر تجمعاتهم وبالتالي مشكلتهم . إن المنطق المقبول أن يكون ترتيب الأحداث جاء ابتداء بالتفكير في ربط الفرد بالأرض وبالتالي بالسلطة، وبحثا عن الوسيلة

(١) عبد الفتاح حسن أبو علي، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، الرياض ١٩٨٦م/١٤٠٦هـ، ص ص ١٤ - ١٥، ٢٣ - ٣٢ .

لم يكن أمام الرياض وسيلة أجدى من العقيدة^(١). ولا عجب فالدولة قائمة على مبادئ الإسلام الصحيحة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم، فكان إرسال الدعاة لتحقيق هذه المهمة.

على أن عملية توطين البدو قد نتج عنها أمران:

الأول: هو الركون واسترخاء الرجال، حيث الدار بعد الخيمة، ومورد الماء والاستزراع بعد قطع البيداء غدوا ورواحا وراء الماء والمرعى، فلتعمل النساء في الحرث والزرع، وحسب الرجال ما سبق أن بذلوه من جهد.

الأمر الثاني: هو تجمعات الإخوان وقد ساعد على ذلك إرسال الدعاة إلى الهجر وإطلاق يدهم للعمل على صقل الفرد ودخجه في منظومة المجتمع الجديد وحثه على الحركة والعمل في إطار من الشريعة، فقد التف الإخوان حول هؤلاء الدعاة وأصبحوا يشكلون قوة حقيقية^(٢).

الأمر الذي ترتب عليه ظهور جانبيين أحدهما إيجابي والآخر سلبي، وهما يشكلان عناصر المشكلة.

الجانب الإيجابي وقد ظهر في المرحلة الأولى لتكوين الهجر بتلك الوسيلة متمثلاً في ظهور مجموعات كبيرة من البدو يلتفون حول الدعاة تجمعهم الأخوة في الدين والعقيدة والولاء لسلطة الرياض، وتشحذ همهم روح الجهاد المتأصلة في نفوسهم. وقد استفادت الرياض من ذلك واستثمرته في وقت هي في أشد الحاجة إليه^(٣).

(١) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، المجلد الخامس، ص ص ٢٥٨ - ٢٦٤.

وخير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج١، ص ص ٢٥٩ - ٢٦١. ومديحة درويش، المرجع السابق، ص ص ١٥٩ - ١٦٦.

(٢) جون حبيب، نشأة حركة الإخوان في الجزيرة العربية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الخامس، ص ص ١٤ - ١٥.

وعبد الله محمد الخريجي، السياسة الاجتماعية للملك عبد العزيز في توطين البدو، المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، ١٢/٥/١٩٨٥م/ ١٤٠٦/٣/٢٣هـ، ص ١٠.

(٣) جون حبيب، المرجع السابق، ص ص ١٩ - ٢٣.

ومحمد المناع، المرجع السابق، ص ص ١١٠ - ١١٣.

فقد اعتمدت الرياض على قوة الإخوان في بسط سيطرتها ومد نفوذها على الجيوب المناوئة للدولة الجديدة .

أما الجانب السلبي فقد تولد عن ذلك الجانب الإيجابي، ذلك أن هؤلاء الإخوان الدعاة ومن حولهم تلاميذهم رأوا أن الرياض تعتمد عليهم اعتمادا أساسيا، وأنهم الدعامة والسند لها في تحقيق جميع انتصاراتها، فأصبحت ثقتهم بأنفسهم غير محدودة، وترسخت في عقولهم فكرة عدم استطاعة الدولة الاستغناء عن وجودهم وهنا طغت على تصرفاتهم وسلوكهم الطبيعة البدوية والروح القبلية وهم لازالوا قريبي العهد بها . فأخذت مطالبهم تزداد وحدثهم تشدد في الاعتراض على أساليب الرياض المتطورة للنهوض بالدولة، فقد أنكر الإخوان على الرياض الأخذ بما وصل إليه العلم الحديث في مجال وسائل الإتصالات وأساليب المدينة الحديثة لراحة المواطن في الدولة الحديثة بدعوى أن ذلك خروج عن الدين والشريعة واشتطوا في أفكارهم حينما أعلنوا أن قرارات الرياض أصبحت لا تمثل لديهم السلطة الشرعية ودأبوا على معارضتها⁽¹⁾ . ومن ثم صبغت مشكلة الإخوان بالصبغة الدينية .

على أن وصول الإخوان إلى هذه الدرجة من رفض التطور رفضا وصل إلى درجة التمرد والخروج عن شرعية الدولة يرجع إلى عاملين :

أولهما : أن فكر الدعاة الذين أرسلوا إلى الهجر بهدف العمل على صقل الفرد ومساعدته على التكيف والاندماج في المجتمع الجديد، كان جامدا بدرجة لا تستوعب أهمية التطور وضرورة الأخذ بأساليب الحياة الحديثة .

(1) - IOR R/15/1/567, S- 77, 61/11 - IV, P. 43.

- RENTZ, GEORGE, **KING ABDUL AZIZ AND THE IKHWAN**, PAPERS PRESENTED TO THE INTERNATIONAL COMFERNCEON THE HISTORY OF KING ABDUL AZIZ, AL-AMAM MOHAMED IBN SAUD ISLAMIC UNIVERSITY, RIYADH, 1985, PP 3 - 9.

- RENTZ, GEORGE, **WAHHBISM AND SAUDI ARABIA**, NO 7, HOPWOOD DERCK, THE ARABIAN PENINSULA, SOCIETY AND POLITICS, LONDON, 1979, PP. 64 - 65.

- Lipsky, george, op, cit. p. 95.

ثانيهما : أن الأفراد في المهجر كانوا بدوا غلبت عليهم الطبيعة البدوية الجامدة التي لا يمكن تغييرها أو تعديل مسارها بسهولة، وهذا أمر طبيعي، فالظواهر الاجتماعية المتعلقة أو المرتبطة بالعادات والتقاليد الموروثة تحتاج إلى جيلين أو ثلاثة لتطويرها وتغييرها ؛ لأن ذلك يتعلق بطبائع بشرية وليس بألة ميكانيكية يمكن تطويرها أو تغييرها في زمن قصير. فإذا ما التقى العامل الأول بالعامل الثاني كانت النتيجة كما رأينا رفضا للتطور وإنكارا للأخذ بوسائل التقدم الحديث باعتباره خروج عن الدين، بل اعتبار أن قرارات الرياض بهذا الشأن لا تمثل السلطة الشرعية^(١).

وهكذا نجد أنه في الفترة التي تهيأت فيها الرياض لتكون قاعدة سياسية للمملكة الجديدة كان هناك ما يؤرق فكرها ويضع على حركتها نحو التطور والأخذ بأسباب العصر في الداخل قيودا، بعد أن نصب الإخوان من أنفسهم أوصياء على الدعوة السلفية، رغم أن الرياض قد أخذت بالشريعة الإسلامية منهجا لحكمها تماما كما كانت عليه زمن الدولة السعودية الأولى والثانية. ولذلك نجد أنه عندما أخذت معارضة الإخوان لخطوات الرياض صورة التمرد والانشقاق الأمر الذي خشيت الرياض أن يكون له صدى لدى باقي كيان الدولة فقد أقدمت على تصفية المعادل المناوئة التي تزعمها فيصل الدويش.

والحقيقة أن التعامل مع مشكلة الإخوان كانت من أهم العوامل التي حسمت الموقف الداخلي لصالح الرياض إن لم تكن أهمها على الإطلاق وذلك لكي تتفرغ لدورها كقاعدة للمملكة.

وعند معالجتنا للأحداث السياسية التي عاصرت ممارسات الرياض في تلك الفترة إعداد وتمهيدا لقيام دولة حديثة، فإننا نعود فنقرر أن حسم الموقف مع الإخوان كان فتحا لانطلاقة سياسية للرياض شعرت بعدها بانحسار الوصاية عن إرادتها.

(١) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ص ٢٨٩ - ٣٠٢.

فالظروف التي أوجدت هذا الكيان المنتشر للإخوان قد جعلت منهم في مراحل فرض الوحدة بعد استيلاء عبد العزيز على الرياض ، عنصرا إيجابيا رأت فيهم الرياض سندا قتاليا في تحقيق أهدافها . أما عندما تطورت الأمور ليصبح هذا العنصر معوقا لمسيرة الرياض في ملاحقة حركة السياسة الدولية التي بدأت تأخذ طريقها إلى منعطفاتها بعد فتح الحجاز قد أوجبت عليها (الرياض) التعامل مع الإخوان على نحو آخر بعد أن تحولوا من قوة تنفيذية بيدها إلى قوة معوقة لتقدمها ، ومن ثم كانت ثورتهم نهاية المطاف لمشروع خلف الكثير من النتائج الهامة⁽¹⁾ .

وللتاريخ فإن الرياض كانت شديدة الحرص على تنفيذ التزاماتها السياسية مع الآخرين من الدول والقوى الأجنبية ، وعندما تم الاتفاق مع الإنجليز ممثلين عن العراق على مشاكل الحدود كان التزام الرياض واضحا بها تم عليه الاتفاق في المناطق المحايدة ، غير أن بريطانيا وجدت في هذه المنطقة مسرحا ملائما لإدارة مشاهد مؤثرة في استقرار الكيان الناشيء لسلطة الرياض ، ثم نرى الوقائع تجري على النحو التالي :

- بذور الثورة بدأت عندما رفض عبد العزيز تعيين سلطان بن بجاد وفيصل الدويش أميرين على مكة والمدينة بعد الاستيلاء عليهما ، فإذا بهما يهاجمان مخيمات ونقاط على الحدود العراقية ، والسبب في ذلك يعود إلى أن العراقيين يحدون من دخول النجديين وبنوا خطا من الاستحكامات على طول حدودهم مع نجد فاعتبر البدو هذه الخطوات اعتداءات على حقوقهم التقليدية في حرية الرعي والانتقال غير المقيد عبر الحدود ، احتجت بريطانيا والعراق لدى حكومة

(1) DICKSON, (H.R.P), KUWAIT AND HER NEIGHBOURS, George Allened unin 1968, p. 50.

و - عبد الفتاح أبو عليّة، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، دار المريخ، الرياض، ١٩٧٦م/١٣٩٦هـ، ص ١٥٥ .

الرياض على هذه الاعتداءات واعتبروا سلطان نجد مسؤولاً عن هذه الجماعات بموجب معاهدة جدة ١٩٢٧م/ ١٣٤٦هـ^(١).

- ونتيجة لعدم جدوى النداءات التي وجهها عبد العزيز للقبائل لإيقاف الغزوات عقد اجتماع في الرياض ١٩٢٨م/ ١٣٤٧هـ عرف باسم «الجمعية العمومية» حضره حوالي ٢٥٠ رجل من زعماء القبائل وكبار علماء الدين وأمراء المدن. وأسفر الاجتماع عن تجديد البيعة لسلطان الرياض والعزوف عن سياسة التسامح واللين مع الذين خرجوا عن الطاعة.

وفي عام ١٩٢٩م/ ١٣٤٨هـ أدرك عبد العزيز أن حركة الإخوان التي أنشأها لنشر السلام والاستقرار أصبحت أداة للعنف والفوضى، وذلك عندما هاجمت قوة منهم قافلة كبيرة للتاجر ابن شريدة بعد قتله وسلب القافلة التي كانت في طريقها من بريدة إلى دمشق، ومع الاستمرار على مهاجمة الأراضي العراقية وهنا أدركت الرياض أن القوة يجب أن تواجه بالقوة^(٢). فنهضت في مطاردة المتمردين وتلاحمت القوات في موقعة السبلة*. وينقذ سلطان بن بجاد ويقع فيصل الدويش جريحاً ولكنه شفي من جراحه وعاد يحمل راية العصيان.

وقد انتهى هذا التمرد بدخول الدويش في حماية الحكومة البريطانية فاحتجت الرياض خاصة وأنه تأكد لديها أن المتمردين كانوا يحصلون على مؤن وذخائر من الكويت وعقب هذا الاحتجاج عقد اجتماع في الرقعي** بين عبد العزيز وبريطانيا التي كانت قد قررت إعطاء الدويش حق اللجوء السياسي^(٣) قبل عقد الاجتماع. كما آوت زعيمين من زعماء التمرد وهما ابن لامي من قبيلة

(١) محمد المناع، توحيد المملكة، المرجع السابق، ص ص ١١٧ - ١١٨.

Rentz - George, op. cit, PP. 6 - 7.

(٢) وصلاح العقاد، المشرق العربي المعاصر، ص ص ٤٨٩ - ٤٩٠.

* تقع قرب جبل طويق وتبعد عن الزلفي حوالي أربعة أميال تقريبا.

** مورد ماء نهر يقع عند نقطة تلاقي الحدود الكويتية العراقية السعودية.

(3) IOR R/15/5/34 P. 75 FROM: FAISAL BIN SULTAN AD-DAWISH TO: POLITICAL AGENT KUWAIT, DATED 8th NOV. 1929/6 JAMADI 2, 1348.

مطير ونايف بن حثلين من العجمان ولم يسفر اجتماع الرقعي عن شيء، لذا تقرر اجتماع ثان في «خباري وضحا» الذي انتهى بتسليم فيصل الدويش*** والعراقي⁽¹⁾.

وهكذا انفردت الرياض دون غيرها من مدن المملكة، بأن تكون هي القاعدة للمملكة العربية السعودية وذلك لخاصة تميزت بها دون غيرها. وهي أنها في مركز متوسط بين أجزاء المملكة على الخليج والبحر الأحمر، فلا يتصور أن تكون العاصمة في مدينة تبعد بينها أي من حدود أراضيها آلاف الكيلومترات خاصة في وقت كانت الظروف السياسية تحتم على أولي الأمر أن يكون على مقربة من مركز الصراع الدولي في الخليج العربي.

هذا فضلا عن أن الدعوة السلفية التي تسير المملكة على هدى مبادئها قد انبثقت من منطقة نجد التي أصبحت الرياض قلبها وقلب هذه الدعوة النابضة معا، بالإضافة إلى ذلك فإن الرياض حينما انطلقت في سياستها نحو توحيد الجزيرة خرجت منها القوة البشرية التي حملت على عاتقها تنفيذ هذه السياسة، وقد اعتمدت بعد الله على قوة العصبية القبلية وعلى القوة الإيمانية التي تغلغلت في نفوس أفراد هذه القبائل حيث كونت جيشا فدائيا استطاع أن يحقق للرياض طموحاتها في توحيد أجزاء البلاد ألا وهم الإخوان.

وهكذا احتفظت الرياض بمركزها كقاعدة للمملكة العربية السعودية مثلما كانت مركزا للدولة السعودية الثانية وأصبحت بضواحيها التي اتسعت تشكل واحدة من ثلاث مناطق رئيسة للمراكز الحضرية والمجتمعات العمرانية بالمملكة، والمنطقتين الرئيسيتين الآخرين هما المنطقة الشرقية وقاعدتها الدمام

*** وضع في سجن الرياض وبعد ستة شهور مات بمرض ألم بقلبه.

(1) RENTZ, OP. CIT PP. 79.

ومحمد المانع، المرجع السابق، ص ١٦١ - ١٩٤.

وتتصل بها مدينة الرياض عن طريق الخط الحديدي وكذلك عن طريق بري، والمنطقة الثالثة هي المنطقة الغربية وقاعدتها جدة وتتصل بها عبر طريق بري، وبالتالي فإن موقع الرياض يعتبر مركزا بالنسبة للمحور السكاني والحضري من الناحيتين الوظيفية والمكانية .

كما يلاحظ أن موقع مدينة الرياض يضيفي على الصناعات ميزتين هامتين، الأولى هي إمكانية استلام المواد الخام من مصادر متعددة والثانية هي إمكانية توزيع منتجاتها إلى كافة مناطق المملكة خاصة في جزئها الأوسط والشرقي .

إذن الرياض تعتبر مركزا اقتصاديا ومستودعا تجاريا يؤهلها للقيام بالعديد من الاتصالات الخارجية الواسعة وتقديم العديد من التسهيلات المتعلقة بالتخزين والتوزيع .

وبذا يمكننا القول أن مدينة الرياض تتصف بوجود قاعدة عريضة من أنشطة الخدمات بأنواعها تخدم نشاطها التجاري الصناعي المتشابك الواسع النطاق .